السنة الثامنة عشرة العدد 186
رجب الأصب 1446هـ - 2025م

العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - وحدة مجلة الولاية

ولدتـه في حـرم الإلـه وأمنـــه
والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة
طابت وطاب وليدها والمولد

المشرف العـــام	السيـد عيسى الخرسـان
رئيس التحريـــر	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحريـــر	د. حســين فاضل الحكيـم
سكرتير التحريـــر	هشــام أمـوري السمـــاك
المحـــــــررون	هاشم محـمد البـــاججي حيـــدر رزاق الكعـبي عبد الحسن هادي الشافعي حـمود حسـين الصـــراف رياض مجيد الخزرجـــي
التصحيح اللغـــوي	د. صـــادق علي الزبيـــدي
السلامة الفكـــرية	نبـأ محســن الحمـــامي سمير سليـــم الحمـــزه مهند طـــاهر الخاقـــاني
تصمـــيم الغلاف وتوليد الصـــور	حســين عـــلاء التميـمي
التصميم والاخـراج	صبـــاح حســن الدجيلي احمد مكي جعفر القرشـــي
الاعمدة والبوسترات	ضيـاء نسيـم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعـــام 2008م
رقـــم الاعتمـــاد فـــي نقابـة الصحفييـــن العراقـــيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

سيدي يا أمير المؤمنين
بين يديك وفي ذكرى ولادتك

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

إنّها لمحنةٌ معرفيةٌ للمرءِ في أن يتحرّى أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلام في فرادة النموذج، واستثنائية الظاهرة، وخصوصية التجربة، وإنهُ لضربٌ من ضروب المستحيل أن يستكنه جوهرَهُ المُبارك وأبجديته المُطلقة، ليستحضرهُ على الورق، في ثمانيةٍ وعشرين حرفًا!

إنهُ عليُّ بنُ أبي طالب بنِ عبد المطّلب، أخو رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وزوجُ ابنتهِ فاطمة عليها السلام، رئةُ الإسلام التي يتنفّس بها المسلمون، وعينُ القرآنِ الباصرة في كلِّ عصر، ويدُ الرحمن التي تفيض على العباد بالخير والكرامةِ والسؤدد، وباب الله تعالى الذي يؤتى منه.

إنهُ عليٌّ الذي لا يُعرّف إلا بنفسه، ذلك الذي قرّر أن يتّحدَ مع المعنى، والفكرةِ، والتاريخ، وارتأى التحليقَ فوق الصوتِ والصدى، إنهُ ذلك العملاق الشاهق الذي لا تستوعبه الصورة، ولا تؤطّره الألفاظ، ولا يرتضي إلا أن يكون ماثلًا على الدوام.

لقد بلغ أمير المؤمنين علي عليه السلام من العظمةِ بأن جعل الله تعالى ولادته في جوف الكعبة المعظّمة، وتكفّله أشرف الخلق صلى الله عليه وآله، فكأنه نزل من يد الربوبية لتتلقاه يد النبوة.

وبهذا الفضاء الذي أوجدهُ اللهُ ورسولُهُ لأمير المؤمنين، تنهمر الرحمات الإلهية والألطاف المحمّدية، ويسير عليّ بهذا النور الكامل في كلّ محطّات حياته، فكانت شخصيّته العظيمة تجسيدًا للطف السماء على الأرض، وكانت ذاتياته كلّها من سنخ واحد، مبعثها الارتباط الخالص بالله جلَّ جلاله وبرسولهِ الكريم صلى الله عليه وآله، حتّى قال هو عليه السلام عن نفسه: (ينحدرُ عنّي السيل، ولا يرقى إليَّ الطير)، وحتى قيل فيه بأنّهُ: (محنة للمتكلّم، إن وفى حقه غلى، و إن بخسه حقه أساء).

٨
قـــــــــاف

١٦
الكلـــم الطيـــب

٢٤
مـــــع الحـــــق

٣٢
بلسانٍ عربيٍّ مبيـن

٤٦
الصراط المستقيم

٦٠
لســـان الامـــــة

٧٠
يراع العلمـــــــاء

٧٨
حـــوار ثقـافـــي

٨٤
ببليوغرافيا العلوم

٩٢
شـؤون دوليـــــة

٩٦ الشـــرق والغـــرب

١٠٦ ذاكـرة الامـم

١١٤ لاذوا بالجـــوار

إنّ الثّقافة الغربيّة التي تنتشر بقوّة على مواقع التّواصل الاجتماعيّ هي من أعظم الابتلاءات التي تواجه الأُسرة المسلمة، حيث إنّ معظم الأبناء لديهم أدوات التّصفُّح مثل الهواتف المحمولة والكمبيوترات والأيبادات وألعاب الفيديو، لذا فإنّ سهولة تصفُّح تلك المواقع قد أتاح للأطفال والمراهقين التّعرُّف على تلك الثّقافة ثمّ الأعجاب بكثير من جوانبها كطريقة اللّباس والأكل ومظاهر الرّفاهيّة

قـــــاف

أهميةُ الوقتِ وكيفية استثماره في ضوءِ النصِّ القرآنـي

الباحث ياسين يوسف اليوسف
البصـــرة

أهميـــــةُ الوقـــــتِ
وكيفية استثماره في ضوءِ النـصِّ القرآنـــي

الباحث ياسين يوسف اليوسف
محافظة البصـــرة

رأس مال الإنســان في حياته عمره ووقتــه وإضاعة أي لحظة منــه بغير تحصيل الغرض المطلوب منه خســارة توجب الحــسرة والندامــة، ومما يزيد الحالة ســوءًا أن بعضهــم لا يكتفــي بتضييــع وقتــه وهدر عمــره، بل يقــوم بتضييــع أوقــات الآخريــن بالأحاديــث الفارغة والأعمــال العبثية ويدفــع الآخرين ليكونــوا مثله.

يعـدُّ الوقـت من الأمـور المهمة في حياة الإنسـان؛ لـذا اهتمّـت الشريعة الإسـلامية بـه كثيـرًا؛ ولأهميته الكبـيرة أقسـم بـه تعـالى في كتابـه الكريـم في مواضع متعـددة، والله تعـالى إذا أقسـم بـشيءٍ مـا فـإنَّ ذلـك يُعـدُّ إشـارة إلى أهميته وعظمتـه، ومن الأوقـات التي أقسـم بهـا الله تعـالى في افتتـاح بعـض السـور القرآنية وغيرهـا نحـو: (الليـل والنهـار والفجـر والضحـى والعـشي والمغـرب وطلـوع الفجر والعـصر والدهر) بشـكل عـام وغيرهـا مـن مفـردات قرآنيـة تعـبر عن الوقـت، كـما في قولـه سـبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وكذلـك أقسـم بوقـت الصبـح في قوله عـز وجـل: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَـرَ﴾ [المدثر: ٣٤] وقولـه تعـالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[التكوير: ١٨-١٩]، وأيضًـا أقسـم بوقـت الليـل في قولـه تعـالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣] وقولـه تعـالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] وقوله سـبحانه: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢]، وغيرهـا مـن الآيـات الكريمـة ذات القسـم بالوقـت وذات التنبيه عـلى أهمية الوقت.

فـكل التوجيهـات القرآنيـة جـاءت لتحثنـا وترشـدنا إلى قيمـة الوقـت؛ لكـي نحافـظ عليـه ونسـتثمره بأفضـل اسـتثمار، في أداء الواجبـات والأعـمال الصالحـة، فقـال تعـالى: ﴿وَهُـوَ ٱلَّـذِي جَعَـلَ ٱلَّيۡـلَ وَٱلنَّهَـارَ خِلۡفَـةٗ لِّـمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّـرَ أَوۡ أَرَادَ شُـكُورٗا﴾[الفرقان: ٦٢]، وحـثّ القـرآن الكريـم عـلى اسـتثمار الوقـت عـلى اختلافـه، فمثـلًا يـرى بعـض النـاس أن وقـت الليـل لا يصلـح إلا للنـوم لراحـة الجسـم، في حـين أنّ القـرآن الكريـم يأمرنـا بـأداء مـا يناسـب ذلـك الوقـت مـن الأعـمال وهـي العبـادة بخشـوع كـما في قولـه تعـالى: وقـال في موضـع آخـر: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وأمرنا الله تعالى بالمسـارعة في اسـتثمار الوقـت لأداء بعـض الأمـور وعـدم هـدر الوقـت وإضاعتـه، فقـال: ﴿وَسَـارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُـمۡ وَجَنَّـةٍ عَرۡضُهَـا ٱلسَّـمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِـدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمـران: ١٣٣]، وقـال عـزَّ مـن قائـل: ﴿وَيُسَٰرِعُـونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِـنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

فالوقـت مـن النِعَـم الإلهيـة الكبـيرة التي مَـنَّ الله تعـالى بهـا علينـا، وأمرنـا النبـي المصطفـى ﷺ الذي لا ينطـق عـن الهـوى، باسـتثماره واغتنامـه، كـما جـاء في وصيتـه للصحـابي الجليـل أبي ذر الغفـاري بقوله: ((يـا أبـا ذر اغتنِـمْ خمسًـا قبـلَ خمسٍ: شـبابَك قبـلَ هَرَمِـك، وصِحَّتَك قبلَ سَـقَمِك، وغِناك قبـلَ فقرِك، وفراغَـك قبـلَ شُـغلِك، وحَياتَـك قبـلَ موتِـك))[1]، فالوقـت مهـم في كل مراحـل الحياة ولا سـيما مرحلة الشـباب، فهـي مرحلـة خصبـة لغـرس أعـمال الخـير في الحيـاة الدنيا؛ لأن الشـابَّ يسـتطيع القيـام بالكثير مـن الأعـمال في شـبابه التـي قـد لا يقـدر عليهـا عند تقدّمـه بالعمـر، ويشـير الحديـث أنَّ الاسـلام يهتـم بالجانـب الصحـي للإنسـان ويدعـو إلى اسـتثمار أوقـات الصحـة، وليسـت الصحـة الجسـمية هـي المنشـودة فقـط ولا الصحـة النفسـية والعقليـة فقـط بل المنشـود هـو التكامـل الصحي للإنسـان، (وغِناك قبـلَ فقـرِكَ)، مِـن أجمـل الوصايـا النبويـة لتحفيـز المؤمنـين على الإنفاق في سـبيل الله تعـالى، فمَن يملِك المـال للتصـدَّق اليـوم قد يُعجِزه سـبب عن المشـاركةِ في الصدقـات عنـد فقـره؛ لـذا علينـا اغتنـامُ الوقـت بالمسـارعة بالصدقـات، والبحث عن أوجُهِ المشـاركةِ فيهـا، (وفراغَـك قبـلَ شُـغلِك) فالفراغ ليـس فرصة للتنعُّـم بنعيـم الدنيـا، وإنَّـما هـو نعمـة لنيـل نعيـم

الآخرة، وهو الأمر الذي يُعْلي من قيمة الوقت وشأنه، (وحَياتَك قبلَ موتِك)، تقترن أهميةُ الوقت بحقيقة لا يمكن إنكارها، وهي الموت، فبحلول الموت ينفَدُ الوقت لفعل الطاعات؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون: ١٠-١١]، فقوله: (مِّن قَبلِ أَن يَأتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلمَوتُ)، أي: فينقطع أمد استطاعته من التصرف في ماله بالانفاق في سبيل الله، وتقييد الأجل بالقريب للاشعار بأنه قانع بقليل من التمديد – وهو مقدار ما يسع الانفاق من العمر؛ ليسهل إجابته؛ ولأن الاجل أيًا ما كان فهو قريب، فيأتي الجواب باليأس من استجابة دعاء من يسأل تأخير الأجل بعد حلوله والموت بعد نزوله وظهور آيات الآخرة[٢]، فالآيةُ الكريمة تبيِّن خطر التأخير وعدم استثمار الوقت في كثير من الأمور الصالحة والتسويف بالتوبة، والاستعداد للرحيل، وتبيِّن فضل الصدقة وعِظَم أثرها، وهذا حثٌ لكل مسلم على المسارعة بالإنفاق في سبيل الله، والاسهام في فعل الخيرات بكل السبل.

وإذا ألقينا نظرة سريعة في روايات أهل البيت والأدعية والكلمات الواردة عنهم عليهم السلام ولأنهم عِدلُ القرآن وترجمانه، نرى - مثالًا- رواية للإمام الكاظم عليه السلام يقول فيها: ((اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم))[٣]، فهذه الرواية تبين كيفية إدارة الوقت بالطريقة الصحيحة وتنظيمه بشكل مفيد ومثمر، فالعمر قصير، ومع عدم التنظيم لا يمكن الافادة منه ولا ينفع الندم؛ لأننا لن نستطيع إرجاع الزمن إلى الوراء فـ((العمر تفنيه اللحظات))[٤] على حدّ قول أمير المؤمنين عليه السلام...

كما يحثّنا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وينبّهنا بسنّته القولية والفعلية على استثمار الوقت بما ينفع، ويحذّر من إضاعة الأوقات سدى، فيقول: صلى الله عليه وآله: ((لا تزولُ قدَمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسأَلَ عن أربَعٍ: عن عُمُرِه فيما أفناه، وعن جَسَدِه فيما أبلاه، وعن مالِه مِن أين كَسَبَه وفيما أنفَقَه؟ وعن حُبِنا أهْلَ البَيت))[٥].

وللوقت مميزات وخصائص على الإنسان أن يدركها فإذا أدركها استطاع أن يغتنم الفرص، ويسعى لاستثمارها للوصول إلى الأهداف التي ينشدها، وأهمها:

سرعة انقضاء الوقت وتصرّمه، فالوقت ينقضي بسرعة، فعن الإمام علي عليه السلام قوله: ((ما أسرعَ الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر))[٦]، فعمر الإنسان يمضي بسرعة كبيرة، وهذا يدعونا إلى المسارعة إلى استثمار كل لحظة منه؛ بإنجاز أكبر قدرٍ ممكن من الأعمال الصالحة، فإذا أدرك الإنسان ذلك السير السريع للوقت استطاع أنْ يلتفت له، ويدرك أهميته عنده، ويبادر للأعمال الصالحة دون تسويف أو تأجيل.

والحقيقة القرآنية تؤكِّد أنّ من سمات الأنبياء والرسل عليهم السلام وخصائصهم المبادرة والاغتنام للوقت بالمسارعة، فيقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٩٠]، ويبيِّن تعالى – أيضًا– سمات الصالحين السائرين على نهج الرسل في اغتنام الوقت، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٤].

استحالة تلافي الوقت وإعادته، فإذا ما انقضى فلا يستطيع الإنسان أن يعيد اللحظات التي مرَّت ولا يعوِّض ما فاته فيه، فالإنسان إذا مرّت عليه تلك الأوقات التي كان يتمتع فيها بكامل قدراته ثم انقضت، لا يستطيع أن يعوض تلك الفُرص الثمينة التي أفِلت.

يمثِّل الوقت محدودية حياة الإنسان، فينبغي أن ننتبه إلى ذلك، لأنّ الزمن الذي يعيشه الإنسان هو الحياة، وبانقضائه تنقضي حياته الدنيوية حيث لا يستطيع أن يُدرك ما يُريد أن يُدركه، وأن يحقق ما كان يصبو إلى تحقيقه، ثمّ لن يستطيع أن يصل إلى مراده، فالوقت هو حياتنا، ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يفرِّط في حياته، وقد أكَّد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنما أنت عدد أيام، فكل يوم يمضي عليك يمضي ببعضك))[٧].

أهمية تنظيم الوقت وجدولته، من الأمور المهمة– أيضًا– أن يختار الإنسان وقتًا مناسبًا لبدء كل عمل، وتقديم الأوليات بعضها على بعض فـ((الأمور مرهونة بأوقاتها)) كما جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٨].

الفرق بين الوقت الزمن والوقت الإنتاجي، فلابدَّ أن يميِّز الإنسان بين العمر الزمني الذي يعيشه في هذه الحياة وبين العمر الإنتاجي وهو مقدار ما ينجزه الإنسان في عمره، وهذا –في الحقيقة– هو العمر الذي يُعتدُّ به، وهكذا كان حال علمائنا الأعلام الذين خلّفوا لنا إرثًا فكريًا عظيمًا بسنوات محدودة من عمرهم الزمني مع عدم توفر بعض وسائل البحث العلمي المتوافرة اليوم، وهذا هو العمر الحقيقي للإنسان.

وللأسف الشديد، نرى الكثير من الناس يتعاملون مع الوقت على أنه شيءٌ غير ثمين وحينما تسأل الكثير منهم عن معناه، تجدهم يعبرون عنه بتلك الدقائق والثواني التي تمرُّ على الإنسان، والذي نعنيه نحن من الوقت هو غير ذلك، فما نعنيه بالوقت هو العمل والإنجاز الذي يتم في ذلك المقطع الزمني، وذلك بأن يحاول الإنسان أن يَفيد من المدة الزمنية التي يعيشها في إنجاز أعماله في أقصر وقتٍ ممكن، وبأقصى استفادةٍ، وعلى الإنسان أن يستثمر كل لحظةٍ حتى لا يضيع أيُّ مقدارٍ من الوقت مهما كان قليلًا.

وأقل ما يطلبه المؤمن في استثمار وقته اشتغاله بذكر الله تعالى في جميع الأوقات، كما ورد ذلك في فقرة من فقرات دعاء أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بدعاء كميل ((يا ربّ أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة))[٩].

و من دعاء الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام في طلب مكارم الأخلاق وهي فقرة تعالج مشكلة تعاني منها كل المجتمعات حتى المتحضرة فضلًا عن المتخلفة والجاهلة وهي مشكلة الفراغ وتضييع

الوقت بلا تخطيط، يقول ﷺ لجعل الوقت منتجًا هادفًا: ((اللهم صلّ على محمد وآله واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني بما تسألني غدًا عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له))[١٠]، فالإمام ﷺ يبين أهمية الوقت ويدلنا على ما يجب أن نملأ أوقاتنا به، وهو ما يحقق الغرض الذي خلقنا لأجله.

من هنا كان رأس مال الإنسان في حياته عمره ووقته وإضاعة أي لحظة منه بغير تحصيل الغرض المطلوب خسارة توجب الحسرة والندامة، ومما يزيد الحالة سوءًا أنَّ بعضهم لا يكتفي بتضييع وقته وهدر عمره، بل يقوم بتضييع أوقات الآخرين بالأحاديث الفارغة والأعمال العبثية ويدفع الآخرين ليكونوا مثله.

نحن أمام مسؤولية كبيرة وهي إدراك أهمية عمرنا وما يجب أن نستثمره فيه؛ لنحصل على الدرجات العالية وهذه حقيقة تكشف لنا واقعنا المؤلم لأنَّ العمر يجري مع كل نفس ولا ينتظرنا، ويمر بسرعة، وإنَّ استثمار الوقت له قاعدة وهي أن الإنسان يجب أن يبدأ بالأعمال ذات الأهمية العالية ثم الأعمال المهمة، فالأقل أهمية، بحيث لا ينشغل بالشيء الأدنى عما هو أعلى، وبالمهم عن الأهم فضلًا على أن ينشغل بالأمور التافهة عن الواجبات المطلوبة من الشريعة المقدسة، فأن الوقت أنفس شيء في الحياة؛ لذا عنى به القرآن الكريم عناية فائقة كما تقدَّم.

١. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١/ ١١٤.
٢. ظ: الطباطبائي، الميزان: ١٩/ ٢٩١-٢٩٢.
٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٢١.
٤. الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ٣٩.
٥. الصدوق، الأمالي: ٩٣.
٦. نهج البلاغة: ١/ ١٢٨.
٧. الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ١٧٨.
٨. المجلسي، بحار الأنوار: ٧٤/ ١٦٥.
٩. الطوسي، مصباح المتهجد: ٨٤٩.
١٠. الصحيفة السجادية: ٩٩.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ :

ءَامَنُواْ

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ

وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

صدق الله العلي العظيم

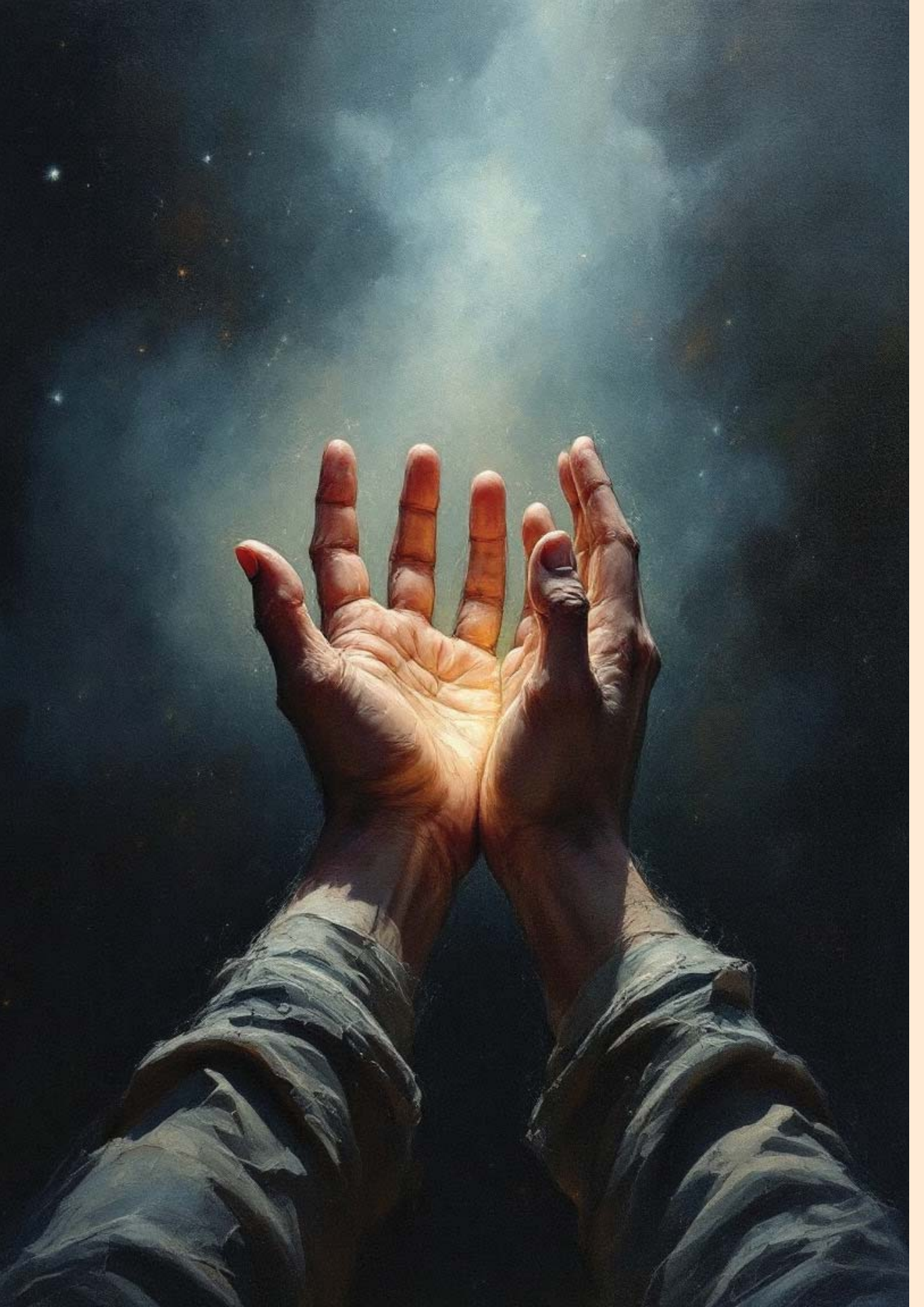

الكلم الطيب

- حديث الدار ودلالاته في السنّة النبويّة
- أهميـة الحديـث

الباحث الإسلامي الشيخ
الحسين أحمد كريمو/سوريا

حديث الدار ودلالاته في السنّة النبويّة

الباحث الإسلامي الشيخ
الحسين أحمد كريمو
سوريا

في هذه الرواية الشريفة هنالك أربع صفات ذكرها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (أخي، ووصيي، ووزيري، وخليفتي من بعدي)

حـادث تأريخـي مفصـلي تعامـل معـه الأصحاب مـن العلـماء كـما تعامـل معـه الأغيـار مـن أتبـاع السـلطة القرشـيَّة الأولى وأنصارهـا، إذ نظـروا إليـه كحديـث وراحـوا يبحثون في السـند أولًا ثـم في المتن ثانيًـا، وفي الـدلالات أخـيرًا، فالأصحـاب ذهبوا إلى شـبه تواتـره، والأغيـار قالـوا بثبوتـه وصحتـه، وأمَّا النواصـب ولا سـيما خـوارج القـرون المتأخـرة مـن أتبـاع ابـن تيميـة وابـن عبـد الوهـاب فأنكـروه مـن الأصـل، وكذَّبـوه ليرتاحـوا مـن دلالتـه التـي رواها الفريقـان وصحّحاهـا جميعًـا.

يقول الشـيخ عـلي الكـوراني العاملي (رحمـه الله): «روَتْ حديـث الـدار عامَّة المصـادر، وصحَّحه علماء الجـرح والتعديـل، وألَّفـوا فيـه كتبًا وفصـولًا، ولكنَّ أتبـاع الحكومـات أفتـوا بأنَّـه يجـب إنـكاره؛ لأنَّـه يكشـفُ بطـلان خلافة غـير عـلي عليه السلام»[1].

فقـد طلـب النبـي صلى الله عليه وآله - بأمـر مـن الله - مـن بنـي هاشـم أنْ يؤمنـوا بـه، وأن يُبايعـه رجـل منهـم عـلى نصرتـه، والتفرُّغ معـه للدعوة، فيتَّخـذه وزيرًا، وأخًا، ووصيًـا، وخليفـة، ووارثًـا من بعـده، فلم يقـم منهم إلا أصغرهم سـنًا، فأعلن عليٌّ عليه السلام قبـول هذه الدَّعوة، فأعلنه الرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله منذ ذلك اليـوم أنَّه أخٌ، ووزيـر، ووصي، وخليفـة، ووارث من بعـده، أي أنَّه سـيعيش من بعـده ليقـود أمته.

وأمَّـا الروايـة كـما يرويهـا الطـبري في تأريخـه، وتفسـيره، وابـن الأثـير في الكامل في التأريـخ، وكثير مـن علـماء التأريـخ والآثـار الروائيَّـة المختلفـة، وفي التفاسـير الروائيَّـة وغيرهـا مـن كتب التفسـير بحيث أنَّهـم عنـد تفسـير هـذه الآيـة الكريمـة والبحـث عـن أسـباب النـزول تطرّقـوا لهـذه الحادثـة المهمَّـة والمفصليَّـة التـي أهملهـا الإعـلام تحت ضغـط إعلام السـلطة القرشـيَّة، لا سـيما الأمويَّـة منهـا.

رواية الطبري في التأريخ:

عَـنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَـالَ: لَمَّـا نَزَلَـتْ هـذه الآيـة عـلى رسـول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْرَبِـينَ﴾ سـورة الشـعراء: ٢١٤، دعانـي رسـول الله صلى الله عليه وآله فَقَـالَ لِي: يَـا عَـلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ أَمَـرَنِي أَنْ أُنْـذِرَ عَشِـيرَتِي الأَقْرَبِينَ،فَضِقْـتُ بِذَلِكَ ذَرْعًـا، وَعَرَفْـتُ أَنِّي مَتَـى أُبَادِيهِـمْ بِهَـذَا الأَمْـرِ أَرَى مِنْهُـمْ مَا أَكْـرَهُ، فَصَمَتُّ عَلَيـهِ حَتَى جَـاءَنِي جِبرَائِيل، فَقَـالَ: يَـا مُحَمَّـدُ، إِنَّـكَ إِلا تَفْعَـلْ مَا تُؤْمَـرُ بِـهِ يُعَذِّبْكَ رَبُّـكَ، فَاصْنَـعْ لَنَـا صَاعًـا مِـنْ طَعَـامٍ، وَاجعَـلْ عَلَيهِ رِجْـلَ شَـاةٍ، وَامْلأْ لَنَا عُسًّـا مِنْ لَبَـنٍ، ثُمَّ اجْمَـعْ لِي بَنِي عَبْـدِ المُطَّلِـبِ حَتَّـى أُكَلِّمَهُـمْ، وَأُبَلِّغَهُـمْ مَا أُمِـرْتُ بِهِ، فَفَعَلْـتُ مَـا أَمَـرَنِي بِـهِ ثُـمَّ دَعَوْتُهُـمْ لَـهُ، وَهُـمْ يَوْمَئِـذٍ أَرْبَعُـونَ رَجُـلًا، يَزِيـدُونَ رَجُـلًا أَوْ يَنْقُصُونَـهُ، فِيهِـمْ أَعْمَامُـهُ؛ أَبُـو طَالِبٍ، وَحَمْـزَةُ، وَالْعَبَّـاسُ، وَأَبُو لَهَبٍ..)

إلى أنْ قَـالَ صلى الله عليه وآله: يَـا بَنِـي عَبْـدِ المُطَّلِـبِ، إِنِّي وَاللَّهِ مَـا أَعْلَـمُ شَـابًّا فِي الْعَـرَبِ جَـاءَ قَوْمَـهُ بِأَفْضَلَ مِمَّـا قَدْ جِئْتُكُـمْ بِهِ، إِنِّي قَـدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَـا وَالآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَـرَنِي اللَّهُ تَعَـالَى أَنْ أَدْعُوَكُـمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُـمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَـذَا الأَمْـرِ عَـلَى أَنْ يَكُـونَ أَخِـي وَوَصِيِّـي وَخَلِيفَتِي فِيكُـمْ؟ قَـالَ: فَأَحْجَـمَ الْقَـوْمُ عَنْهَـا جَمِيعًـا، وَقُلْـتُ: وَإِنِّي لأَحْدَثُهُـمْ سِـنًّا، وَأَرْمَصُهُـمْ عَيْنًـا، وَأَعْظَمُهُـمْ بَطْنًـا، وَأَحْمَشُـهُمْ سَـاقًا، أَنَا يَا نَبِـيَّ اللَّهِ، أَكُـونُ وَزِيرَكَ عَلَيْـهِ فَأَخَـذَ بِرَقَبَتِي، ثُـمَّ قَالَ: إِنَّ هَـذَا أَخِي، وَوَصِيِي، وَخَلِيفَتِـي فِيكُـمْ، فَاسْـمَعُوا لَـهُ وَأَطِيعُـوا، قَـالَ: فَقَامَ

الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ، وَيَقُولُونَ لأَبِي طَالِبٍ: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لابْنِكَ وَتُطِيعَ»[٢].

فالملاحظ في هذه الرواية الشريفة أنَّ هناك أربع صفات ذكرها رسول الله ﷺ (أخي، ووصيي، ووزيري، وخليفتي من بعدي)، وأضافت رواية الشيخ المفيد، وتوافق معه مسند الشاميين بالصفات الخمس بإضافة (ووارثي)، وأضاف غيرهم (وصاحبي)، ولكنَّ هذه الرواية بترتيبها الأيدي المؤتمنة على تأريخ الأمة في تفسيرها، حيث قال ﷺ: (على أنْ يكون أخي وكذا وكذا..) ونقلها ابن كثير ومَنْ لفَّ لفَّه بهذا اللفظ المبتور، ورحم الله شيخنا الأميني حيث يقول في مثل هذا: «يا لله والأمانة العلمية»، فهذه الصفات الخمس كانت ثابتة في يوم الدار لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

رواية الشيخ المفيد:

يروي هذه الحادثة الفريدة الشيخ المفيد فيقول عنها: أجمع على صحته نقَّاد الآثار حِينَ جَمَعَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ فِي دَارِ أَبِي طَالِبٍ وَهُمْ أَرْبَعُونَ رَجُلًا يَوْمَئِذٍ يَزِيدُونَ رَجُلًا أَوْ يَنْقُصُونَ رَجُلًا...

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ شَبِعُوا مِنَ اَلطَّعَامِ وَرَوُوا مِنَ اَلشَّرَابِ:يَا بَنِي عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ إِنَّ اَللَّهَ بَعَثَنِي إِلَى اَلْخَلْقِ كَافَّةً وَبَعَثَنِي إِلَيْكُمْ خَاصَّةً فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ) وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كَلِمَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ عَلَى اَللِّسَانِ ثَقِيلَتَيْنِ فِي اَلْمِيزَانِ تَمْلِكُونَ بِهِمَا اَلْعَرَبَ وَاَلْعَجَمَ وَتَنْقَادُ لَكُمْ بِهِمَا اَلْأُمَمُ وَتَدْخُلُونَ بِهِمَا اَلْجَنَّةَ وَتَنْجُونَ بِهِمَا مِنَ اَلنَّارِ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اَللَّهِ فَمَنْ يُجِيبُنِي إِلَى هَذَا اَلْأَمْرِ وَيُؤَازِرُنِي عَلَيْهِ وَعَلَى اَلْقِيَامِ بِهِ يَكُنْ؛ أَخِي، وَوَصِيِّي، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي، وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي.. فَلَمْ يُجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَقَالَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَأَنَا إِذْ ذَاكَ أَصْغَرُهُمْ سِنًّا وَأَحْمَشُهُمْ سَاقًا وَأَرْمَصُهُمْ عَيْنًا فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اَللَّهِ أُؤَازِرُكَ عَلَى هَذَا اَلْأَمْرِ؛ فَقَالَ: اِجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ اَلْقَوْلَ عَلَى اَلْقَوْمِ ثَانِيَةً فَأَصْمَتُوا وَقُمْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَقَالَتِيَ اَلْأُولَى، فَقَالَ: اِجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَى اَلْقَوْمِ مَقَالَتَهُ ثَالِثَةً فَلَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِحَرْفٍ، فَقُلْتُ: أَنَا أُؤَازِرُكَ يَا رَسُولَ اَللَّهِ عَلَى هَذَا اَلْأَمْرِ.

فَقَالَ: اجْلِسْ فَأَنْتَ أَخِي، وَوَصِيِّي، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي، وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي، فَنَهَضَ اَلْقَوْمُ وَهُمْ يَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا طَالِبٍ لِيَهْنِكَ اَلْيَوْمَ إِنْ دَخَلْتَ فِي دِينِ اِبْنِ أَخِيكَ فَقَدْ جَعَلَ اِبْنَكَ أَمِيرًا عَلَيْكَ)[٣].

هذه الرواية التي أجمع عليها نقَّاد الآثار، وهي رواية صحيحة عند القوم، والعجيب فيهم أنهم عمدوا إلى هذه الصفات الخاصَّة بأمير المؤمنين عليه السلام إما ينكرونها أو سرقوها ونسبوها إلى أنفسهم، بحيث أنك ما تقرأه في التاريخ العجب العجاب، وهنا أريد أن أُشير إشارة خاطفة؛ لأنَّ هذا البحث هو عبارة عن نظريَّة علميَّة كاملة في القيادة الإسلاميَّة يجب علينا دراستها وبلورتها وإخراجها للناس ليعلموا أنَّ دين الله كاملٌ، وأنَّ رسول الله ﷺ لم يترك الأمة هملًا كما يدَّعون.

١ - وارثي؛ أنكرتها السلطة القرشيَّة من الأصل فقال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث).

٢- خليفتي؛ فقالوا: لم يستخلف على الأمة ومَنْ أثبتها فقال أنها محصورة في أهل بيته عليهم السلام.

٣- أخي؛ وهي ثابتة في حديث المؤاخاة إلاَّ أنَّ الخليفة الثاني أنكرها في يوم السقيفة عندما جاؤوا بأمير المؤمنين مكتفًا بعمامته، وقالوا: بايع، قال: وإن لم أفعل فمَه؟ فقال: إذن نضرب عنقك، فقال عليه السلام: تقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال الرجل: أما عبد الله فنعم، وأما أخا رسوله فلا[٤].

٤- وصيي؛ أنكروها حيث قالت عائشة : (متى أوصى وقد مات بين سَحري ونَحري؟).

٥-وزيري؛ فقالوا: ليس للرسول وزير بل كان يعتمد على أصحابه في تسيير شؤون الأمة.

هكذا أنكر القوم ذاك الحديث، ولعبوا بتلك الحادثة التاريخيَّة التي كانت منذ البداية لاختيار الخليفة، والوصي، والوارث، والوزير، والأخ منهم وليس للطعام والشراب فقط، بل الدعوة عُقدت لأجل تنصيب الولي عليهم، وتسميته منهم، وهذا ما فهموه من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ خرجوا يضحكون ويقولون لأبي طالب عليه السلام:(جَعَلَ ابْنَكَ أَمِيرًا عَلَيْكَ).

وما يُعزّز - لدينا - هذا الفهم للرواية والحادثة، هي الرواية الأخرى لها حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلاَّ جَعَلَ لَهُ أَخًا، وَوَزِيرًا، وَوَارِثًا، وَوَصِيًّا، وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِهِ، فَمَنْ يَقُومُ مِنْكُمْ فَيُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي، وَوَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي، وَإِمْسَاكِهِمْ، وَقَوْلُهُ كَذَلِكَ ثَلاَثًا.. ثُمَّ قَوْلُهُ: لَئِنْ لَمْ يَقُمْ قَائِمُكُمْ لَتَكُونَنَّ فِي غَيْرِكُمْ، ثُمَّ لَتَنْدَمُنَّ.. وَقِيَامُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنْ بَيْنِهِمْ وَمُبَايَعَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ)[٥].

والعجيب في هذه الحادثة أنَّ الخليفة الأول يرويها ويحتج بها وذلك عندما جاءه الإمام علي عليه السلام وعمّه العباس يختصمان في الميراث النبوي، فقال أبو بكر للعباس: (لاَ تَعْجَلْ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَمْرًا، أُنَاشِدُكَ اللهَ هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَجْمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، فَقَالَ:يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلاَّ جَعَلَ لَهُ أَخًا وَوَزِيرًا وَوَارِثًا وَوَصِيًّا وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِهِ، فَمَنْ يَقُومُ مِنْكُمْ فَيُبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي، فَأَمْسَكْتُمْ، ثُمَّ أَعَادَ الثَّانِيَةَ، فَأَمْسَكْتُمْ، ثُمَّ أَعَادَ الثَّالِثَةَ فَأَمْسَكْتُمْ، فَقَالَ: لَئِنْ لَمْ يَقُمْ قَائِمُكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي غَيْرِكُمْ، ثُمَّ لَتَنْدَمُنَّ، فَقَامَ هَذَا (يَعْنِي عَلِيًّا عليه السلام مِنْ بَيْنِكُمْ، فَبَايَعَهُ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَشَرَطَ لَهُ عَلَيْكُمْ مَا شَرَطَ، أَتَعْلَمُ ذَلِكَ يَا عَبَّاسُ؟ قَالَ: نَعَمْ)[٦].

فالحادثة والأمر الإلهي كان لإنذار العشيرة الأقربين من البيت الهاشمي، ولكن بأي شيء أنذرهم وبأي شيء أمرهم، وعلى أي نتيجة خرجوا من عنده؟

فمسألة الإنذار لم تكن واضحة؛ لأنَّها هي إلى التبليغ أقرب في شقِّها الأوَّل، ولكن في الروايات الأخرى ومنها رواية الخليفة هي واضحة؛ (لَئِنْ لَمْ يَقُمْ قَائِمُكُمْ لَيَكُونَنَّ فِي غَيْرِكُمْ)، والمقدّمة كانت جليَّة في هذه المسألة أيضًا حيث كانت؛ (إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلاَّ جَعَلَ لَهُ أَخًا وَوَزِيرًا وَوَارِثًا وَوَصِيًّا وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِهِ)، فكلُّ نبي مبعوث من السماء له وزير من أهله وخاصته وحامَّته، والعجيب ما يرويه مسلم القشيري فيما يُسميه الصحيح من أنَّ الآية نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، وَرَهْطَكَ

مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)[٧]، على أنَّها قرآن نُسخت تلاوته كما يدَّعون، ولكن غفلوا على أنها تنصُّ على الإمام علي بن أبي طالب ﷺ من دون غيره كما يعتقد شيعته الكرام؛ لأنَّ (المخلَصين)، هم غير (المخلِصين)، وتعني الذين اختارهم الله وأخلَصهم أي عصمهم.

١. سيرة أمير المؤمنين ﷺ الشيخ علي الكوراني العاملي: ج١، ص٥٢
٢. تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبري: ج ٢، ص ٣٢١
٣. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد: ج١، ص٤٩
٤. السياسة والإمامة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق زيني دحلان: ج١، ص ٢٠
٥. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ج٢، ص ٢٥٠
٦. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ج١، ص ١٢٢
٧. صحيح مسلم القشيري: ج ١، ص ١٣٤،ح ٢٠٨

أهميـــة الحديث

مـن المعلـوم أنّ مصـادر التشريـع أربعـة اوّلهـا القـرآن الكريـم بوصفـه دسـتورًا إلهيًـا خالـدًا وثانيهـا السـنة المأثـورة عـن الرسـول ﷺ عـن طريـق أهـل بيتـه عليهم السلام دون غيرهـم، وثالثهـا الإجمـاع والمـراد منـه إجمـاع الشـيعة الإماميـة خاصـة والكاشـف عـن رأي المعصـوم، ورابعها العقـل والمـراد منـه الإدراكات القطعيـة العقليـة التـي لا يـتردد فيهـا. بنـاءً عـلى هـذا فالقـرآن الكريـم بحاجـة إلى مـن يفـسّره التفسـير اللائـق بـكلام ربّ العالمـين، وبعـد تقـادم الأيـام أصبحنـا بعيديـن عـن أحاديـث رسـول الله ﷺ ودخلـت الكثـير مـن الأيـادي الخبيثـة وأيـادي المنافقـين وأصحـاب القلـوب المريضـة لتشـوه حقيقـة الإسـلام فكذبـوا عـلى النبـي وحرّفـوا أحاديـث متعـددة، لـذا فالسّـنة المأثـورة عـن رسـول الله ﷺ والمأخـوذة مـن أهـل بيتـه الأطهـار عليهم السلام، بحاجـة إلى مـن يمحّصهـا حتـى يصلنـا منهـا مـا هـو حقيقـي وصـادق لأهميتهـا، وهكـذا بالنسـبة لتفسـير أو تأويـل الآيـات القرآنيـة الكريمـة فـلا أحـد يعلـم تفسـيره إلا الله والراسـخون في العلـم، والإمـام الصادق عليه السلام يقـول: "والله نحـن الراسـخون في العلم" أي لا يعلم تفسـيره أو تأويله إلا أئمـة أهـل البيـت عليهم السلام، كـما صرّح بذلك القـرآن الكريم، حيـث يقول: ﴿وَمَـا يَعْلَـمُ تَأْوِيلَـهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْـمِ﴾[آل عمـران:٧]. مـن هنـا جـاءت أهميـة الحديـث حيـث أجهـد الكثـير مـن العلـماء وأسـاطين المذهـب أنفسـهم في أن يوجـدوا علـمًا يقسّـمون فيـه أقسـام الحديـث وتفاصيلـه ليصلـوا إلى الحديـث الصحيـح الـذي يُعتمـد عليـه في بيـان مـا جـاء في القـرآن الكريـم وأحاديـث أهـل البيـت عليهم السلام، فسـمّي بـ(علـم الحديـث).

مع الحـــق

مفهوم توحيد الذات الإلهية في كلام الإمامين العسكريين (عليهما السلام)

د. حميـــدة الأعرجـــي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

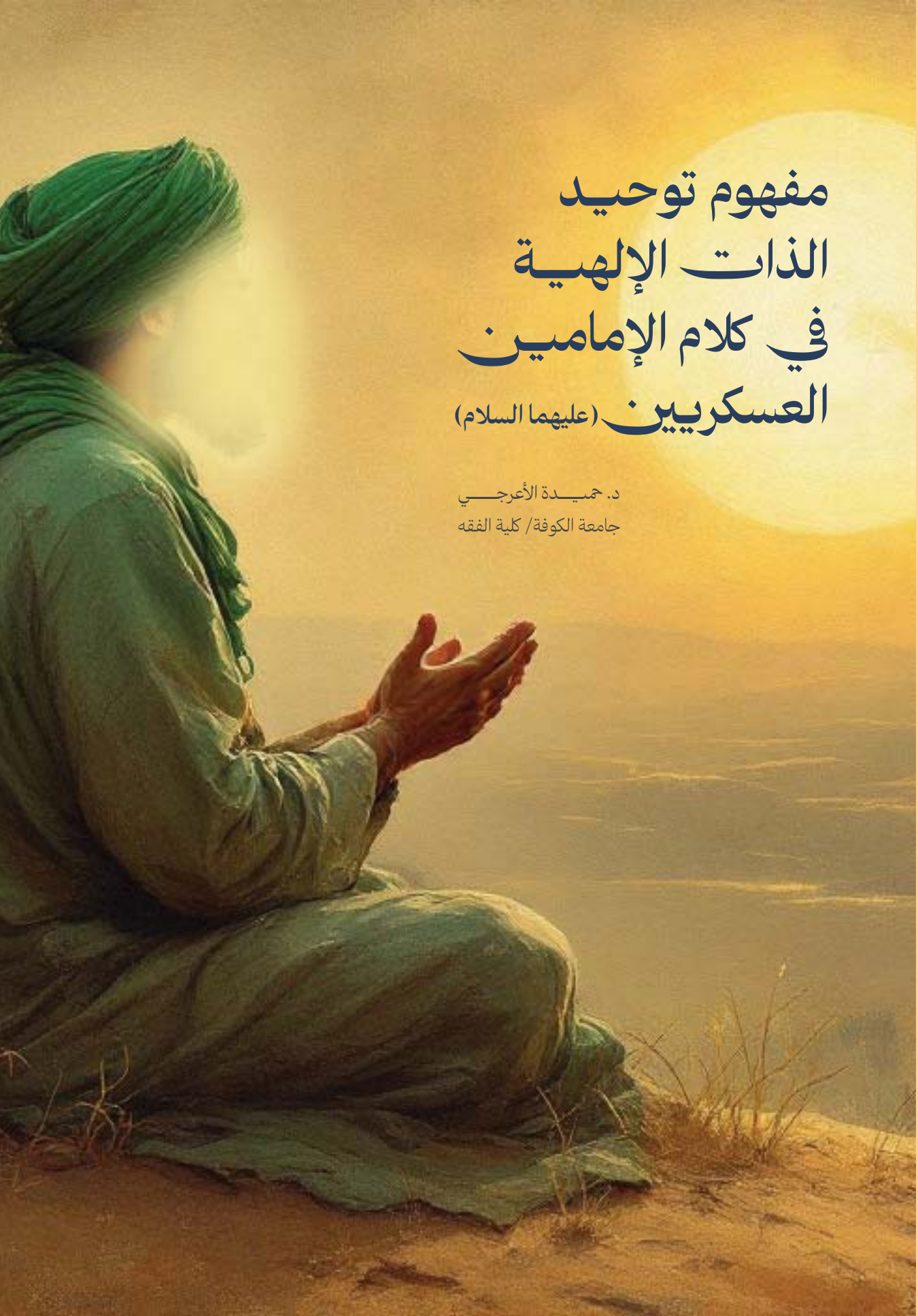

مفهوم توحيد الذات الإلهية في كلام الإمامين العسكريين (عليهما السلام)

د. حميدة الأعرجي
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

لطالما كان الفكر الإنساني مشغولًا بسر وجوده على هذه الأرض، ومنذ أنْ أُوجدَ لم تبرح التفسيرات والنظريات في معرفة موجِدهِ ومحاولة تَكهنِ ذاته، بل حتى بعد أنْ أُنزِلتْ كتب السماء على الأنبياء، تُعرِّفُ الناسَ بربهم وخالقهم، لم تزل شعلة الجدل توقِدُ فكرَ المتدينين بين حينٍ وحين، ولم يكن المسلمون بمنأى عن الجدل في كتابهم بعد أقل من قرن على تنزيله، فازداد خلاف متكلّميهم وتشظّت وحدتهم إلى فِرَقٍ اجتهدتْ في معرفة الذات وفهم الصفات، ولولا أن انبرى أهل بيت النبوّة في حل إشكالاتٍ أو ردِّ شبهاتٍ؛ لغرق أتباعهم في بحرِ الشِّركِ والتشبيه، ولَتأرجَحتْ عقيدتهم بين تفويضٍ وتنزيه.

فكانت فاتحة فيوضاتهم العقدية، كلام سيد الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام حين عرّف بالدِّين وتوحيد ربِّ العالمين، بقوله: «أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإِخْلَاصُ لَه»(١)، إذ جعل الأساس الذي ينبني عليه الدِّين، هو (التوحيد) الخالص لله جلّ وعلا، ومن ثم على التوحيد ينبني كل ما يتعلق بذاتهِ المقدسة من صفاتٍ وأفعالٍ في هذا الوجود، يصفها بكلمات عميقة في الدلالة، وعالية في المضامين(٢).

وهكذا كانت كلمات أمير المؤمنين عليه السلام منارًا ومقتدًى لولْدِهِ المعصومينَ من بعده، فلما آلَ الأمرُ إلى الإمامين العسكريين عليهما السلام - اللّذين يأتيان في التسلسلين العاشر والحادي عشر وفق عقيدة الإمامية الإثني عشرية- كانا وريثي عِلم وعرفان وبلاغة آبائهما وجديهما أمير المؤمنين والنبي الأمين، معدن علم الله تعالى وكنوز خزائنه (صلوات الله عليهم أجمعين). ولكن على الرغم من هذه المنزلة العظيمة والتراكم العلمي الذي حظِيَا به، إلّا أنهما كانا يؤكدان على أنْ يكون إيمان أتباعهم على وفق ما جاءت به معارف القرآن الكريم، وكما يفهمها عامة الناس، بكيفية مبسطة خالية من تعقيدات الفلاسفة والمتكلمين، إذ من طبيعة العقل البشري أنه كلما أطلق العنان لأفكاره تولدت عنده تساؤلات وإشكالات، وما يكاد أحدهم أنْ يتوصل إلى نتيجةٍ مّا حتى يورد عليه آخر بإشكالٍ ما، وهذا هو ديدن المفكرين. نجد ذلك جليًا في راوية الشيخ الكليني عن الفتح بن يزيد عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام، حيث يقول: «سَأَلْتُه عَنْ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ، فَقَالَ: الإِقْرَارُ بِأَنَّه لَا إِلَه غَيْرُه، ولَا شِبْه لَه ولَا نَظِيرَ، وأَنَّه قَدِيمٌ مُثْبَتٌ، مَوْجُودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ، وأَنَّه لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ». قال: الإقرار، ولم يقل: الاستدلال، ومن ثم الدخول في مساجلات العقل ودهاليز الفلسفة والكلام.

ومن الشواهد على الجدل الذي طال بين علماء المسلمين في مسألة (كلام الله)، أهوَ قديم أم مخلوق؟ روى الشيخ الصدوق بسنده عن عيسى بن عبيد اليقطيني، أنّ الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام كتب إلى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإنْ يفعل، فقد أعظم بها نعمة، وإنْ لا يفعل فهي الهَلَكة، نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلّا الله عز وجل، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسمًا من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من

الساعة مشفقون»[٣]، وما رواه عن محمد بن عيسى أنه قال: قرأت في كتاب علي بن بلال أنه سأل الرجل -يعني الإمام الهادي عليه السلام-: «روي عن آبائك عليهم السلام أنهم نهوا عن الكلام في الدِّين. فتأوّل مَوَاليكَ المتكلّمون بأنهُ إنما نُهيَ مَنْ لا يحسن أنْ يتكلم فيه، فأمّا مَن يحسن أنْ يتكلم فيه فلم يُنهَ، فهل ذلك كما تأوّلوا أوْ لَا؟ فكتب عليه السلام: المُحسِنُ وغير المُحسِن لا يتكلمُ فيه، فإنّ إثمهُ أكثرُ مِن نفعهِ»[٤].

والحديثان يوشيان بأنه عليه السلام لم يُرِد من المتكلم أنْ يجمحَ بوهمهِ من دون أنْ يكون له لجام يضبطه، ولنفس السبب كان آباؤه عليهم السلام يحرصون على تعليم تلاميذهم كيفية الحِجَاج وما ينبغي أنْ يُقال فيه من أدلة ومفاهيم وعبارات، ويظهر ذلك صريحًا من حديث أحد تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام من قبل، فقد روي عن يونس بن يعقوب قوله: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهَّ عليه السلام، فَوَرَدَ عَلَيْه رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام، فَقَالَ إِنِّي رَجُلٌ صَاحِبُ كَلَام وفِقْه وفَرَائِضَ وقَدْ جِئْتُ لِمُنَاظَرَةِ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ عليه السلام كَلَامُكَ مِنْ كَلَام رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وآله أَوْ مِنْ عِنْدِكَ؟ فَقَالَ مِنْ كَلَام رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وآله ومِنْ عِنْدِي، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ عليه السلام: فَأَنْتَ إِذن شَرِيكُ رَسُولِ اللهَّ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَسَمِعْتَ الْوَحْيَ عَنِ اللهَّ عَزَّ وجَلَّ يُخْبِرُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَتَجِبُ طَاعَتُكَ كَمَا تَجِبُ طَاعَةُ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: لَا، فَالْتَفَتَ أَبُو عَبْدِ اللهَّ عليه السلام إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا يُونُسَ بْنَ يَعْقُوبَ هَذَا قَدْ خَصَمَ نَفْسَه قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ يَا يُونُسُ لَوْ كُنْتَ تُحْسِنُ الْكَلَامَ كَلَّمْتَه، قَالَ يُونُسُ: فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنِ الْكَلَامِ وتَقُولُ وَيْلٌ لأَصْحَابِ الْكَلَامِ يَقُولُونَ هَذَا يَنْقَادُ وهَذَا لَا يَنْقَادُ وهَذَا يَنْسَاقُ وهَذَا لَا يَنْسَاقُ وهَذَا نَعْقِلُه وهَذَا لَا نَعْقِلُه، فَقَالَ: أَبُو عَبْدِ اللهَّ عليه السلام: إِنَّمَا قُلْتُ فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ تَرَكُوا مَا أَقُولُ وذَهَبُوا إِلَى مَا يُرِيدُونَ»[٥].

ولعل القارئ لهذه المقالة، سيجد أنّ الإمامين العسكريين عليهما السلام كانا يتعاملان مع اتباعهم بهذا الأسلوب نفسه، يغوصان في المعرفة العقدية إذا ما كان السائل على قدر من العلم والمعرفة، ويحذران من التعمق فيها إذا ما كان السائل ذا فهم سطحي أو محدود.

مفهوم (التوحيد) في اللغة والاصطلاح

لفظ (التوحيد) في اللغة مأخوذ من الجذر (وّحّد)، وهو لفظ يطلق على كل شيء منفرد على حِدَة، بائن عن آخر، والرجل الوحيد، هو المنفرد الذي لا أنيس معه[٦]، والواحد: (المنفرد بالذات في عدم المثل والنظير، والأحد: المنفرد بالمعنى، وقيل: الواحد هو الذي لا يتجزأ، ولا يثنّى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل، ولا يجمع هذين الوصفين إلّا الله تعالى)[٧]، قال الأزهري: (وأما اسم الله (عز وجل) (أَحد) فإنه لا يوصف شيء بالأَحدية غيره، لا يقال: رجل أَحَد، ولا درهم أَحَد)[٨].

والتوحيد بمفهومه الإجمالي متعارف عليه بين عامة المسلمين فضلًا عن علمائهم، وبحسب تعبير الإمام الرضا عليه السلام حين سأله ابن المُهتدي عن معنى التوحيد، قال: «كُلُّ مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللهَّ أَحَدٌ وآمَنَ بِهَا فَقَدْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ. قُلْتُ: كَيْفَ يَقْرَأُهَا؟ قَالَ

كَـمَا يَقْرَأُهَـا النَّـاسُ»[٩]، أي بمفهومـه البسـيط الـذي يعرفـه عامـة النـاس، إلّا أنَّ تفصيـل هـذا المفهـوم وحـق معرفتـه التـي يريدهـا الإسـلام مـن المسـلم غـير جلي عنـد كثير مـن علماء المسـلمين، فضـلًا عن عامتهـم، بدليـل قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا يُؤْمِـنُ أَكْثَرُهُمْ بِـاللَّهِ إِلَّا وَهُـمْ مُشْرِكُـونَ﴾ [يوسـف: ١٠٦]، الـذي يوحـي بـأنّ أكثـر المؤمنـين يخالـط إيمانهـم الـشرك ولكنهـم لا يلتفتـون إلى ذلـك، ولو لم يكـن كذلك، لما ظهـرت الفِرَق الإسـلامية التـي كان أس اختلافها في مباحـث الإلهيات.

أمـا (التوحيـد) في الاصطـلاح، فلـم يبتعـد أهـل الفـن مـن متكلمـي الإماميـة عـن المعنـى اللغـوي للتوحيـد، إذ عرّفـوه بجمعهـم بـين المعنيـين لـ (الواحـد، والأحـد). ومـن هـذه التعريفـات:

قـال الشـيخ المفيـد (ت: ٤١٣هـ): (القـول في التوحيـد: إنّ الله -عـز وجـل- واحـد في الإلهيـة والأزليـة، لا يشـبهه شيء، ولا يجـوز أنْ يماثلـه شيء، وأنـه فـرد في المعبوديـة لا ثـاني لـه فيهـا عـلى الوجوه كلهـا والأسـباب)[١٠].

وقال الشـيخ الطـوسي (ت: ٤٦٠هـ): (هو إثبات صانـع واحـد مُوجِـد للعـالم، ونفـي مـا عـداه)[١١].

وقـال الشريـف الجرجـاني (ت: ٨١٦هـ) في التعريفـات: التوحيـد في اصطـلاح أهـل الحقيقـة: (تجريـد الـذات الإلهية عـن كل ما يتصـور في الأفهام، ويتخيـل في الأوهـام والأذهـان)[١٢].

ومـن المعاصريـن، قـال السـيد الطباطبائـي: (إثبـات أنّ الواجـب الوجود واحـد لا واجب غيره، وإليـه ينتهـي كل وجـود)[١٣].

فأصـلُ التوحيـد كـما يـراه متكلمـو الإماميـة -ويعدونـه الـرأي الحـق مـن بـين آراء الفِـرَق الإسـلامية الأخـرى- هـو مـا بثتـه تعليـمات الأئمـة المعصومـين عليهم السلام وأقوالهـم فيهـم، التـي تبتنـي عـلى التنزيـه التـام للـذات الإلهيـة المقدسـة عن أي شـائبة مـن شـوائب الـشرك أو التمثيـل.

توحيد الذات في كلام الإمامين العسكريين عليهما السلام

أولًا: في روايـة طويلـة نسـبيًا، يـروي الشـيخ الصـدوق (ت: ٣٨١هـ) بسـنده في كتابـه التوحيـد قائـلًا: «حدثنـا عـلي بـن أحمـد بـن محمـد بـن عمران الدقـاق (رحمـه الله)، قـال: حدثنـا محمـد بـن أبي عبـد الله الكـوفي، قـال: حدثنـا محمـد بـن إسـماعيل البرمكـي، قـال: حدثنا الحسـين بن الحسـن بـن بردة، قـال: حدثنـي العبـاس بـن عمـرو الفقيمـي، عن أبي القاسـم إبراهيـم بـن محمـد العلـوي، عـن الفتـح بن يزيـد الجرجـاني، قـال: ((لقيتـه عليه السلام عـلى الطريـق عندَ مُنْـصَرَفِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى خُرَاسَـانَ وهُوَ سَـائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ، فَسَـمِعْتُهُ يَقُـولُ: مَـنِ اتَّقَـى اللهَّ يُتَّقَـى ومَـنْ أَطَـاعَ اللهَّ يُطَـاعُ، فَتَلَطَّفْـتُ فِي الْوُصُـولِ إِلَيْه فَوَصَلْتُ فَسَـلَّمْتُ عَلَيْـه، فَـرَدَّ عَلَيَّ السَّـلَامَ، ثُـمَّ قَالَ: يَـا فَتْحُ مَـنْ أَرْضَى الْخَالِـقَ لَمْ يُبَـالِ بِسَـخَطِ الْمَخْلُـوقِ...))[١٤] إلى آخـر الروايـة، التـي يتجـاوز طولهـا بضـع صفحـات[١٥]، سـينقل البحـث مقاطـع منهـا لاحقًـا بحسـب حاجة عناوينـه الفرعيـة.

هـذه الروايـة نفسـها ينقلهـا مِـن قبـلُ الشـيخ الكلينـي (ت: ٣٢٩هـ) بسـندٍ يختلـف عـن سـند

الشيخ الصدوق، غير أنه يجزّئها على أكثر من باب في كتابه الأصول من الكافي[١٦]، منها هذا المقطع الذي يخبر الفتح فيه عن مكان لقائه بالإمام، قال: «عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ جَمِيعًا، عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ، قَالَ: ضَمَّنِي وَأَبَا الْحَسَنِ عليه السلام الطَّرِيقُ فِي مُنْصَرَفِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى خُرَاسَانَ وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنِ اتَّقَى اللَّهَ يُتَّقَى، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ يُطَاعُ. فَتَلَطَّفْتُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَوَصَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: يَا فَتْحُ مَنْ أَرْضَى الْخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِ، وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَقَمَنٌ أَنْ يُسَلِّطَ اللَّهَ عَلَيْهِ سَخَطَ الْمَخْلُوقِ، وَإِنَّ الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَنَّى يُوصَفُ الَّذِي تَعْجِزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ...»[١٧].

تعليـــــق:

رواية الشيخ الصدوق فيها زيادة طفيفة عن رواية الشيخ الكليني مجتمعة، كما أنها لم تحدد من هو الإمام وإنما اكتفت بقوله عليه السلام، غير أنّ بعض المحققين قال إنه يقصد الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام[١٨]؛ لأنّه يعد (الفتح بن يزيد) من أصحاب الإمام الرضا حين يذكر سند الحديث الثالث والعشرين في كتابه عيون أخبار الرضا[١٩]، وسند الحديث الرابع عشر في كتابه التوحيد[٢٠].

رواية الشيخ الكليني لم تحدد من هو الإمام (أبو الحسن)، أهوَ الثاني الرضا عليه السلام، أم الثالث الهادي عليه السلام؟ غير أنّ هناك مَن ذهب إلى القول بأنه الإمام الهادي عليه السلام؛ لأنّ الإربلي يورد هذه الرواية ضمن أقواله عليه السلام[٢١]، ولعله كان مصيبًا في فعله، لأنّ (الفتح) يقول في روايته: «وهُوَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ» والإمام الهادي عليه السلام هو الذي جاء العراق، ولم يقل وهو في طريقه الى خراسان، فيما لو احتُمِلَ أنّ الامام الرضا عليه السلام كان مسيره إليها عن طريق العراق.

والذي يفيدنا من الرواية في هذا الموضع من المقالة، ما جاء فيها من كلام الإمام في وصف وحدة الذات الإلهية، قوله عليه السلام: «(... الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ، لَمْ يُعْرَفِ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ، وَلَا الْمُنْشِئُ مِنَ الْمُنْشَأِ، لَكِنَّهُ الْمُنْشِئُ، فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ وَصَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ، إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئًا»، وعندما سمع الفتح بن يزيد هذا الوصف، اختلج في ذهنه إشكال بمشابهة وحدة الإنسان بوحدة الله جلّ وعلا، فراح يُسائل الإمام عنه، قال: «قُلْتُ: أَجَلْ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ، لَكِنَّكَ قُلْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ وَقُلْتَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، واللَّهُ وَاحِدٌ والإِنْسَانُ وَاحِدٌ، أَلَيْسَ قَدْ تَشَابَهَتِ الْوَحْدَانِيَّةُ؟)).

فكان جواب الإمام بأنّ الوحدة التي قصدها ليست الوحدة التي ذهب إليها ذهنه، إنما كان يقصد الوحدة الصِّرْفة التي لا تتجزأ ولا تتركب من أجزاء، ولا يحل جزء منها مكان جزء آخر كما هو حادث في المخلوقات من دونه سبحانه. قال عليه السلام: ((يَا فَتْحُ أَحَلْتَ ثَبَّتَكَ اللَّهُ، إِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعَانِي، فَأَمَّا فِي الأَسْمَاءِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ، وهِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْمُسَمَّى، وذَلِكَ أَنَّ الإِنْسَانَ وإِنْ قِيلَ وَاحِدٌ فَإِنَّهُ يُخْبَرُ أَنَّهُ جُثَّةٌ وَاحِدَةٌ، ولَيْسَ باثْنَيْنِ، والإِنْسَانُ نَفْسُهُ لَيْسَ بِوَاحِدٍ؛ لأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ، وأَلْوَانَهُ مُخْتَلِفَةٌ،

ومَـنْ أَلْوَانُـه مُخْتَلِفَـةٌ غَـيْرُ وَاحِـدٍ، وهُـوَ أَجْـزَاءٌ مُجَـزَّأَةٌ لَيْسَـتْ بِسَـوَاءٍ، دَمُـه غَـيْرُ لَحْمِـه، ولَحْمُـه غَـيْرُ دَمِـه، وعَصَبُـه غَـيْرُ عُرُوقِـه، وشَـعْرُه غَـيْرُ بَـشَرِه، وسَـوَادُه غَـيْرُ بَيَاضِـه، وكَذَلِـكَ سَـائِرُ جَمِيـعِ الْخَلْقِ، فَالإِنْسَـانُ وَاحِـدٌ فِي الاِسْـمِ ولَا وَاحِـدٌ فِي الْمَعْنَـى، واللهُ جَـلَّ جَلَالُـه هُـوَ وَاحِـدٌ لَا وَاحِـدَ غَـيْرُه، لَا اخْتِـلَافَ فِيـه ولَا تَفَـاوُتَ، ولَا زِيَـادَةَ ولَا نُقْصَـانَ، فَأَمَّـا الإِنْسَـانُ الْمَخْلُـوقُ الْمَصْنُوعُ الْمُؤَلَّـفُ مِنْ أَجْـزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وجَوَاهِرَ شَـتَّى غَـيْرَ أَنَّـه بِالاجْتِـمَاعِ شَيْءٌ وَاحِـدٌ))[٢٢].

ثانيًا: مـا يرويـه الشـيخ الكلينـي عـن سَـهْلٍ عن الإمـام أبي محمـد العسـكري عليه السلام وبأسـلوب المكاتبـة، قـال سَـهْل: «كَتَبْـتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّـدٍ عليه السلام سَـنَةَ خَمْـسٍ وخَمْسِـينَ ومِئَتَـيْنِ، قَـدِ اخْتَلَفَ يَـا سَـيِّدِي أَصْحَابُنَا فِي التَّوْحِيـدِ، مِنْهُـمْ مَـنْ يَقُـولُ: هُـوَ جِسْـمٌ، ومِنْهُـمْ مَنْ يَقُـولُ: هُوَ صُـورَةٌ، فَـإِنْ رَأَيْتَ يَـا سَـيِّدِي أَنْ تُعَلِّمَنِي مِـنْ ذَلِكَ مَـا أَقِـفُ عَلَيْـه ولَا أَجُـوزُه فَعَلْـتَ مُتَطَوِّلًا عَـلَى عَبْـدِكَ))، فجاء ردّ الإمـام بتفصيل أكثـر ممّا كان في جـواب أبيـه عليه السلام، قـال: ((فَوَقَّـعَ بِخَطِّه عليه السلام: سَـأَلْتَ عَـنِ التَّوْحِيـدِ وهَذَا عَنْكُمْ مَعْـزُولٌ، اللهُ وَاحِـدٌ أَحَدٌ لَمْ يَلِـدْ ولَمْ يُولَـدْ ولَمْ يَكُـنْ لَـه كُفُـوًا أَحَـدٌ، خَالِـقٌ ولَيْسَ بِمَخْلُـوقٍ، يَخْلُـقُ تَبَارَكَ وتَعَالَى مَا يَشَـاءُ مِنَ الأَجْسَـامِ وغَـيْرِ ذَلِـكَ ولَيْسَ بِجِسْـمٍ، ويُصَـوِّرُ مَا يَشَـاءُ ولَيْسَ بِصُـورَةٍ، جَـلَّ ثَنَـاؤُه وتَقَدَّسَـتْ أَسْـمَاؤُه أَنْ يَكُـونَ لَه شِـبْه، هُـوَ لَا غَـيْرُه، لَيْـسَ كَمِثْلِـه شَيْءٌ وهُوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ))[٢٣].

يبـدو من جـو الروايـة أنّ الإمامية كانـوا يلجؤون إلى معرفـة الحـق في مثـل هـذه المسـائل مـن مباحـث الإلهيـات من المعصـوم نفسـه وبطريقة كتابيـة موثّقة، كـي يقطعـوا الشـك باليقين فيهـا، وفي الرواية إشـارة مـن الإمـام عليه السلام إلى أتباعـه يحذّرهم فيها مـن الكلام في ذات الله (عـز وجـل) أو محاولـة معرفـة ماهيتـه، منعًا مـن أنْ يزيد الجدل غير النافع فيهـا، فصدّر إجابته عليه السلام بعبـارة: (وهَـذَا عَنْكُـمْ مَعْـزُولٌ)، مـا يعنـي أنّـه عِلْمٌ ممتنـع عنكـم؛ لأنّه أعظـم مـن أنْ تناله عقولكـم؛ لذا يكفيكـم أنْ تعتقـدوا بـأنّ اللهَ تعـالى واحـدٌ أحـدٌ كـما وصـفَ هو نفسـه (عز وجـلّ) في القـرآن الكريم[٢٤].

ثـم وصـف وحدانيـة الله تعـالى المطلقـة التفـرد مستعينًا بـما أمـر بـه (سـبحانه) في كتابـه العزيـز أنْ يوصـف: ﴿**قُـلْ هُـوَ اللهُ أَحَـدٌ اللهُ الصَّمَـدُ لَمْ يَلِـدْ وَلَمْ يُولَـدْ وَلَمْ يَكُـنْ لَـهُ كُفُوًا أَحَـدٌ**﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وختـم إجابتـه بالتنزيـه التـام مستعينًا أيضًـا بـما نفى الله تعـالى عـن نفسـه أنْ يماثلـه شيء في وحدانيتـه أو صفاتـه: ﴿**فَاطِرُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... لَيْـسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشـورى: ١١]، ومـا بـين بدايـة جوابـه وخاتمتـه إشـارة إلى التوحيـد الأفعـالي،

وجـواب الإمـام عليه السلام لم يكـن ببعيـد عـمّا أسـس له آبـاؤه من أحـكام عقديـة تضع حـدًّا للتفكـر في ذات الله (عـزّ وجـلّ)، مـن قبيـل قـول أمـير المؤمنـين عليه السلام: ((ومَـنْ أَفْكَـرَ فِي ذَاتِ اللهِ تَزَنْـدَقَ))[٢٥]، وقول الإمام عـلي بـن الحسـين عليه السلام ((إِنَّ اللهَ عَـزَّ وجَـلَّ عَلِـمَ أَنَّـه يَكُـونُ فِي آخِـرِ الزَّمَـانِ أَقْـوَامٌ مُتَعَمِّقُـونَ فَأَنْـزَلَ اللهُ تَعَـالَى ﴿**قُـلْ هُـوَ اللهُ أَحَـدٌ**﴾، والآيَـاتِ مِـنْ سُـورَةِ الْحَدِيـدِ إِلَى قَوْلِـه: ﴿**وهُـوَ عَلِيـمٌ بِـذَاتِ الصُّـدُورِ**﴾، فَمَـنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِـكَ فَقَـدْ هَلَـكَ))[٢٦].

١. الشريف الرضي: نهج البلاغة:٣٩.
٢. م. ن. راجع تكملة الخطبة.
٣. الصدوق، عيون أخبار الرضا: ٢٢٤.
٤. م. ن: ٤٥٩.
٥. الكليني، الأصول من الكافي ١/ ١٧١.
٦. ظ: الخليل الفراهيد، العين: ٣/ ٢٨٠.
٧. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٥٩.
٨. ابن منظور، لسان العرب: ٢/ ٤٥١.
٩. الكليني، الأصول من الكافي: ١/ ٩١.
١٠. المفيد، أوائل المقالات: ٥١.
١١. الطوسي، الرسائل العشر: ١٠٣.
١٢. الجرجاني، التعريفات: ٦٢.
١٣. الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ١١/ ٢٨٩.
١٤. الصدوق، التوحيد: ٦٠-٦١.
١٥. ظ: م. ن: ٦٠-٦٦.
١٦. ظ: الكليني، الأصول من الكافي: ح١، ١/ ١١٨-١٢٠، وباب جوامع التوحيد، ح٣، ١/ ١٣٨، وباب المشيئة والإرادة، ح٣، ١/ ١٥٢.
١٧. الشيخ الكليني/ الأصول من الكافي، ١/ ١٣٨.
١٨. ظ: الخوئي: معجم رجال الحديث، ١٤/ ٢٦٥-٢٧٠.
١٩. الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١/ ١١٧و ٢٣١.
٢٠. الصدوق، التوحيد: ٥٦.
٢١. الإربلي، كشف الغمة: ٣/ ١٧٩.
٢٢. الكليني، الأصول من الكافي: ١/ ١١٨-١١٩؛ الصدوق، التوحيد: ٦١-٦٣.
٢٣. الكليني، الأصول من الكافي: ١/ ١٠٣.
٢٤. ظ: المازندراني، شرح الأصول من الكافي: ٣/ ٢١٣؛ الفيض الكاشاني، الوافي: ١/ ٢٨٩.
٢٥. الكليني، الكافي: ٨/ ١٨.
٢٦. م.ن: ١/ ١٠٣.

بلسانٍ علويٍّ مبين

- معالم الشخصية الإسلامية ومميزاتها في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

الشيخ الدكتور عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

- نهج البلاغة مرجع لدراسة التأريخ السياق التأريخي في الخطبة الشقشقية وتأثيراتها السياسية مثالًا

م. د. خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

معالم الشخصية الإسلامية ومميزاتها في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

الشيخ الدكتور عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

إنَّ البحث في المناهج التربوية الإسلامية والاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من آيات وروايات يؤكد سلامة ذلك المنهج من التفكير في المصلحة الشخصية الذاتية للمشرِّع، وأنه يعتني اعتناءً كبيرًا بذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، ويبحث عن أفضل السبل لتربيتهم وإعدادهم وصلاحهم، والحفاظ على فطرتهم من أي انحراف عقدي أو تربوي.

إنَّ مصطلح الشخصية يراد به: ((جملة الخصائص الجسمية والوجدانية والنوعية والعقلية التي تحدد هوية الفرد وتميِّزه عن غيره))[1]، وإنَّ هذا التعريف العام للشخصية القائم على مجموعة الخصائص هو الذي يحدد نوعية تلك الشخصية عند تسخيرها لقوة خصائصها المختلفة، ونحن في هذه الصفحات نبحث عن الشخصية المتكاملة التي هي قادرة على تكييف ذاتها[2]، بحيث تكون جميع استجاباتها الجزئية متفقة مع أهدافها العامة، فالشخصية الإسلامية هي التي تتكيف مع الأهداف العامة التي تضعها الشريعة الإسلامية المقدسة، التي ألهمها الله تعالى معرفة النافع من الضار وأثرهما بناء الشخصية بناءً كاملًا، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[سورة الشمس: الآيات ٧-١٠]، فالفلاح والخيبة قائمان على مدى تعامل الإنسان المؤمن مع تلك الخصائص النفسية على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة؛ ليستطيع بذلك أنْ يبني لنفسه شخصية معينة ذات معالم إسلامية تنظِّم أهدافها، وسبيل الوصول إليها، يمكن أنْ نطلق عليها عنوان (الشخصية الإسلامية)، وهذا ما سيتم بيانه في صفحات هذا البحث.

> إنَّ الشخصية الإسلامية دائمًا وأبدًا لا تخضع لكافرٍ، أو لتأثيرِ مجتمعٍ، أو عادةٍ، ولا تتخاذل في الميدان.

مميزات الشخصية الإسلامية:

للشخصية الإسلامية مميزات تميزها عن غيرها من الشخصيات الأخرى، حيث يمكن بيان أهم مميزاتها - بعد وصفها أنها مؤمنة بالله تعالى الخالق- بما يأتي:

١- الإيجابية: وهو الاهتمام بالقضايا العامة من دون التفكير بالمصلحة الشخصية، ومصاديق ذلك على مراتب متعددة حسب المقام، فمرة يكون الاهتمام منصبًّا على قضية ما بحيث يكون المسلم المؤمن في دور الناصح والمرشد الموجِّه لها، وهذا لا يمكن أنْ يتحقق إنْ لم تكن تلك الطاقة الروحية الإيجابية التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية، التي تقوم ببث روح الأمل في الآخرين.

٢- الحركية: وتعني أنَّ الشخصية الإسلامية ليست جامدة عاكفة في المسجد أو البيت، وإنما هي شعلةٌ من نورٍ تهدي العباد بسلوكها المرسوم من الله تعالى، وهو مصداق الإسلام والداعية لأفكار وأهداف الإسلام النَّيِّرة التي لا يعتريها الباطل من أمامها أو من خلفها، وهي في حالة الاستجابة للنظام الإسلامي القائم على البناء النفسي والاجتماعي.

٣- التغيّرية: فتغيير الأمة نتيجة حتمية لتكوين شخصيات إسلامية؛ لأنَّ الشخصية الإسلامية إسلام متحرك أولًا؛ ولأنه عنصر الإشعاع بفكرته ومبدئه ثانيًا، فهو لا يكتفِ أنْ يكون إنسانًا صالحًا، وإنما هو مُغَيِّرٌ لأبناء أمته.

٤- القيادية: فإنَّ الشخصية الإسلامية دائمًا وأبدًا لا تخضع لكافرٍ، أو لتأثيرِ مجتمعٍ، أو محيطٍ،

إنَّ الشخصية الإسلامية ليست جامدة عاكفة في المسجد أو البيت، وإنما هي شعلةٌ من نورٍ تهدي العباد بسلوكها.

أو بيئةٍ، أو عادةٍ، أو وراثةٍ تتعارض مع النظام الإسلامي، ولا تتخاذل في الميدان، بل عمل على هداية الناس وقيادتهم إلى الحياة الحرة الكريمة وإلى نعيم الآخرة.

وهذا كله يمكن أنْ نراه وجودًا حقيقيًّا في الدعوة الإلهية لعباده ومدى استجابتهم إليه، حيث قال تعالى: **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[سورة آل عمران: الآية ١٠٤].

وقد أشار السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس الله سره) (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) إلى أهمية وجود الشخصية الإسلامية وأثرها في بناء الأمة، وتغيير عقائدها القائمة على المادية والذاتية إلى حركة وتغيير، وبيان صلاح النظام الإسلامي في هذا البناء، إذ قال: ((إنَّ هذه الرسالة المنقذة لهي رسالة الإسلام الخالدة التي استمدت نظامها الاجتماعي -المختلف عن كُلِّ ما عرضناه من أنظمة- من قاعدة فكرية جديدة للحياة والكون، وقد أَوْجَدَ الإسلام بتلك القاعدة الفكرية النظرة الصحيحة للإنسان إلى حياته، فجعله يؤمن بأنَّ حياته منبثقة عن مبدء مطلق الكمال، وأنَّ إعداد الإنسان إلى عالم لا عناءَ ولا شقاءَ، ونصب له مقياسًا خلقيًّا جديدًا في كُلِّ خطواته وأدواره وهو رضا الله تعالى، فليس كُلُّ ما تفرضه المصلحة الشخصية فهو جائز، وكل ما يؤدي إلى خسارة شخصية فهو محرَّم غير مستساغ، بل الهدف الذي رسمه الإسلام للإنسان في حياته هو الرضا الإلهي والمقياس الخلقي الذي تُوزَنُ به جميع الأعمال إنما هو مقدار ما يحصل بها من هذا الهدف المقدس والإنسان المستقيم هو الإنسان الذي يحقق هذا الهدف، والشخصية الإسلامية الكاملة هي الشخصية التي سارت في شتى أشواطها على هدى هذا الهدف، وضوء هذا المقياس، وضمن إطاره العام))[٣].

خيرُ مثال:

في هذه الصفحات العلوية الموجزة تم اختيار جزء من وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد، وبيان آثارها التربوية في بناء الشخصية من خلال الجوانب الحياتية المختلفة، التي تؤسس إلى المنهج الإسلامي لإيجاد القدوة القادرة على التأثير في الآخرين، حيث يقول عليه السلام: ((يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ، النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ: الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ....))[٤].

إنَّ هذه الفقرة من وصيته ﷺ في بيان ما يتعلق بمقام العلم وآثاره ومنزلة المشتغلين بتحصيله، وفضله على سواه مما يعدُّ نعمة في الظاهر، وتنشغل الناس كثيرًا في طلبه وزيادته مثل المال، والذي جعله الإمام قسيمًا للعلم في هذه الوصية كما في فقراتها اللاحقة.

إنَّ هذا التقسيم منه ﷺ يظهر مدى حكمته في معرفة حقائق الناس، وعظمة ما اختاره في وصيته بذلك، والابتداء ببيانه، قال ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) في شرحه لنهج البلاغة: ((قوله ﷺ ثلاثَةٌ قسمةٌ صحيحةٌ؛ وذلكَ لأنَّ البشرَ باعتبارِ الأمورِ الإلهيةِ إمَّا عالِمٌ على الحقيقةِ يعرفُ اللهَ تعالى، وإمَّا شارِعٌ في ذلكَ فهو بَعْدُ في السفرِ إلى الله يطلبهُ بالتعلُّمِ والاستفادةِ من العالِمِ، وإمَّا لا ذَا ولا ذاكَ وهو العامَيُّ الساقطُ الذي لا يَعبأُ اللهَ، وصدقَ ﷺ في أنَّهم هَمَجٌ رَعَاعٌ أتباعُ كُلِّ ناعِقٍ، أَلا تراهُمْ ينتقلونَ من التقليدِ لشخصٍ إلى تقليد الآخرَ لأدنى خيالٍ، وأضعفِ وَهْمٍ))[٥].

وهذا التقسيم الثلاثي لتعامل الناس مع العلم بصورة عامة يؤكد مدى أهمية العلم في بناء الشخصية من جهة، وتأثُّر الناس بهذا الرافد الإلهي من جهة أخرى، حيث بيَّن الإمام الصفات التي يتضمَّنها كُلُّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة وآثارها على صاحبها.

١- الدكتور جميل صليبا، المعجم الفلسفي: ٦٩٢.
٢- ينظر: المصدر نفسه: ٦٩٢-٦٩٣.
٣- حسن محمد الشيخ علي، الشخصية الإسلامية مقوماتها معالمها نتائجها: ٤٦، الدكتور وسيم عبود عطية، بناء الشخصية الإسلامية قراءة في المشروع الحضاري والإنساني للإمام زين العابدين ﷺ: العدد٤٦، ١/ ٦٢٦-٦٢٩.
٤- السيد محمد باقر الصدر، المدرسة الإسلامية: ٦٦-٦٧.
٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٣/ ١٨٦.

نهج البلاغة مرجع لدراسة التأريخ
السياق التأريخي في الخطبة الشقشقية وتأثيراتها السياسية مثالًا

م. د. خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

تعد أقوال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة من أبرز الأعمال العلمية في التراث العربي إذ يجمع بين البلاغة والفكر العميق والسياسة، ويتضمن الكتاب مجموعة من الخطب والرسائل والحكم التي تعكس رؤيته (عليه السلام) للحياة، وتُعدّ "الخطبة الشقشقية" واحدة من أبرز هذه الخطب التي تحمل دلالات تاريخية وسياسية غنية تعكس السياق الذي عاش فيه الإمام علي (عليه السلام).

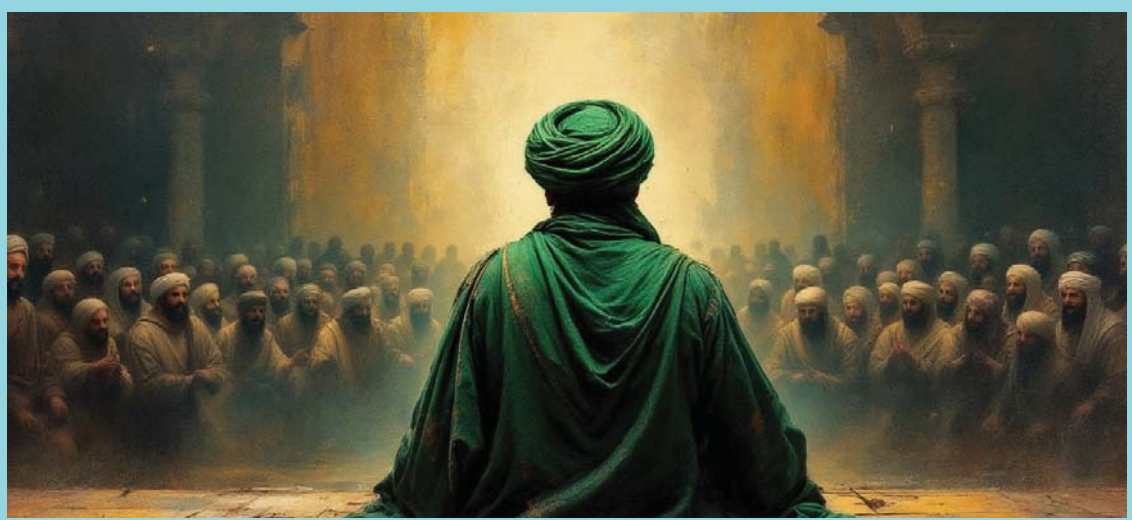

لقد ألقيت الخطبة الشقشقية في مدة حرجة من تأريخ الإسلام، بعد مقتل الخليفة الثالث واستلام أمير المؤمنين عليه السلام الزعامة السياسية للأمة في الكوفة حيث واجهت الأمة الإسلامية انقسامات وصراعات سياسية حادة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وانتزاع الخلافة من الخليفة الفعلي الإمام علي عليه السلام فواجه تحديات جسيمة عادت بتبعات غير محبذة على الأمة الإسلامية بنطاق واسع، إذ برزت النزاعات حول الخلافة، التي تجلّت في أحداث مهمة في التأريخ مثل معركة الجمل (٣٦هـ) ومعركة صفين (٣٧هـ).

مضامين الخطبة الشقشقية:

جاء في مضمون الخطبة الشقشقية[1] ما نصه: ((أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيْهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الحَلْقِ شَجًا، أرى تُرَاثِي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلانٍ بَعْدَهُ، ثم تمثّل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَبًا! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُها في حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا؛ فَصَيَّرَهَا في حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ، يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ العِثَارُ [فِيهَا]، وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ.

فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ المِحْنَةِ، حَتَّى إِذا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا في جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ؛ فَيَا لِلّهِ وَلِلشُّورَى...

في هذه الخطبة نجد أنّ الإمام علي عليه السلام يُعبر عن مشاعره تجاه الخلافة والمواقف التي أحاطت بها، مُشيرًا إلى الظلم الذي تعرض له أثناء توليه الحكم، داعيًا المسلمين للعودة إلى قيم الحق والعدل.

تبدأ الخطبة بعبارة مشحونة بالانفعالات، مما يعكس الاضطرابات التي عاشها الإمام عليه السلام إذ تتناول الخطبة تجربته في الخلافة، موضحًا أنه كان معزولًا عن الحكم في البداية، معبرًا عن استيائه من عدم الاعتراف بحقه، مما يُظهر الصراع الداخلي الذي

كانت تعيشه الأمة.

أما فيما يتعلق بالسياق التاريخي موضوع المقال فالخطبة تتضمن نقدًا حادًا للسياسات التي اتبعتها بعض الشخصيات في ذلك الوقت، ويُبرز الإمام علي عليه السلام كيف أن بعض القادة اتبعوا مصالحهم الشخصية على حساب مصلحة الأمة، مما أدى إلى الفساد والانقسام، يُعدُّ هذا النقد جزءًا أساسًا من الخطبة، حيث يُعكس رؤيته للعدالة وأهمية القيادة الرشيدة.

يؤكد عليه السلام أن الحاكم يجب أن يكون قريبًا من الناس، ويستمع لمطالبهم واحتياجاتهم، مما يعزز مبدأ العدالة الاجتماعية.

تُعد الخطبة الشقشقية مرجعًا مهمًا في دراسة التأريخ الإسلامي لأنها فعلت الدور السياسي لثلاث دعائم مهمة في الدولة آنذاك وهي:-

أولا- الشرعية والخلافة:

يتحدث الإمام عليه السلام عن كيفية تولّي الآخرين للخلافة، ويعد ذلك تجاوزًا لحقه في القيادة، مما يطرح تساؤلات حول مفهوم الشرعية في الحكم وهنا يبرز لنا عدة ملاحظات يسجلها الامام عليه السلام في خطبته منها : -

حق الخلافة: وضّح الامام عليه السلام بقوله هذا كما أوردت مبدأ التفضيل في من يتولى إمرة المسلمين وهنا يؤكد حقه فيها معبرًا عن أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد اختاره ليكون خليفة بعده، وهذا يشير إلى أن الخلافة ليست مجرد منصب، بل مسؤولية تتطلب الأهلية والعدالة، بل ويؤكد ذلك بالنصوص القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة:٦٧] مما يعكس رؤية دينية حول الحكم.

الشرعية المفقودة: انتقاده عليه السلام للخلفاء السابقين في طريقة تولي الخلافة، مشيرًا إلى أن تلك الخلافة تمت دون استشارات حقيقية للمجتمع أو توافق على القيادة.

التأكيد على المصلحة العامة: وهنا تأتي الامة فوق كل شيء من منظور الإمام علي عليه السلام إذ يؤكد أن الخلافة يجب أن تخدم المصلحة العامة، وأنه كان يسعى لتحقيق العدالة والازدهار للمسلمين، وهو ما يجعله مؤهلًا أكثر من غيره[٢].

ثانيا- الفتن والصراعات:

تتناول الخطبة الفتن التي نشأت بين المسلمين، وكيف أدت إلى تباين المواقف والأيديولوجيات، مما يساعد المؤرخين على فهم التوترات التي واجهتها الأمة، إذ يتحدث الإمام عليه السلام عن الفتن التي نشأت بين الصحابة، وتباين المواقف والولاءات، مما أدى إلى انقسامات خطيرة أسهمت في عدم استقرار الدولة.

ثالثا- العدالة الاجتماعية:

يعبِّر الإمام علي عليه السلام عن رؤيته للعدالة والمساواة في الحكم بأنها السبيل لتحقيق الاستقرار المجتمعي، وامثل طريق لتجسيد العدالة في السلطة عبر رفض الفساد أو المحسوبية وإن لا مكان لهما في حكمه، ويعتبر أن كل من يتولى منصبًا يجب أن يكون خادمًا للناس، وهذا يحقق ترابطًا مجتمعيًا إذ يؤكد عليه السلام أن الحاكم يجب أن يكون قريبًا من الناس، ويستمع لمطالبهم واحتياجاتهم، مما يعزز مبدأ العدالة الاجتماعية(٥).

ومما تقدم نلحظ انّ هذه الخطبة تُسلِّط الضوء على تأثير أفكار الإمام علي عليه السلام السياسية على الأحداث اللاحقة، من خلال نقده للسياسات الفاسدة، ويُحفِّز الإمام عليه السلام المجتمع على التفكير في العدالة السياسية وأهمية محاسبة الحكام، كما وتُعد تلك الخطبة دعوة لتوحيد الصفوف إذ يحث الإمام عليه السلام المسلمين على الوحدة والتضامن لمواجهة التحديات.

كان لهذا النداء تأثير كبير في الجيل الذي عايش تلك الفترة وما بعدها، حيث أسهم في تشكيل تصور المسلمين حول القيادة والعدالة.

نستخلص من مقالنا هذا أنّ الخطبة الشقشقية ليست مجرد نص لغوي، بل هي وثيقة تأريخية تعكس الظروف السياسية والاجتماعية التي واجهها الإمام علي عليه السلام من خلال تحليل هذه الخطبة، ويوضِّح لنا عليه السلام أن نهج البلاغة مرجعًا مهمًا لدراسة التاريخ الإسلامي، حيث يُوفر رؤىً عميقة حول الصراعات السياسية التي سادت تلك المدة.

---

١. نهج البلاغة، تحقيق: الشريف الرضي: ١/ ١٥١.
٢. القمي، معاني الاخبار: ٢٠٠.
٣. عدي حاتم المفرجي، العدالة الاجتماعية في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ١٥٠-١٥٢ [بتصرف].

مناهج الحياة (الصدقة)

من قصار حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

قَالَ عليه السلام: (سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ).

قَالَ عليه السلام: (اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ).

قَالَ عليه السلام: (مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ).

قَالَ عليه السلام: (إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ)

قَالَ عليه السلام: (الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجَالِهِمْ).

قصة مثل في نهج البلاغة
(آخِـرُ الـدَّوَاءِ الْكَيُّ)

مـن كلام لـه عليه السلام بعدمـا بويـع بالخلافـة وقـد قـال قـوم مـن أصحابـه : (لـو عاقبـت قومًـا ممـن أجلـب عـلى عثـمان؟ فقـال عليه السلام : يـا اخوتـاه؟ إني لسـت أجهـل مـا تعلمـون... ولا تفعلـوا فعلـة تضعضـع قـوة، وتسـقط منّـة، وتـورث وهْنًـا وذلـة، وسأمسـك الأمـر مـا استمسـك وإذا لم أجـد بـدًا فآخـر الـدواء الكـيّ[1].

قيـل في المثـل آخـر الطـب الكـي[2] لأنـه إنـما يقـدم عليـه بعـد أن لا ينفـع معـه كل دواء وأبـى المـرض قبـول كل دواء عندئـذ حسـم بالكـي آخـر الأمـر، وقائلـه لقـمان بـن عـاد[3]: وذلـك بحادثـة امـرأة تغـازل رجـلًا زعمتـه أخاهـا ولـو كان أخاهـا لجـلي عـن نفسـه وكفاهـا الـكلام، والتقـى لقـمان زوجهـا فعرفـه مـن خـلال أراجيـز يرتجزهـا وعلامـات وجدهـا لقـمان في بيـت الرجـل فعـرف أنـه زوج المـرأة فأخـبره الخـبر فأجابـه الرجـل، أفـلا أعالجهـا بكيـة توردهـا المنيـة؟ فقـال لقـمان: آخـر الـدواء الكـي[4].

يـضرب هـذا المثـل في أعـمال المخاشـنة مـع العـدو إذا لم يُجـدِ معـه اللـين والمـداراة وفي القصـة اعتبـار بعـد التأكـد، بـما يريـد الإمـام عليه السلام مـن ضرب المثـل للنـاس لكـي يسـتقيموا فيصيبـوا رشـدهم وحظهـم، وإن اعوجـوا فـلا بـد مـن إقامـة اعوجاجهـم مهـما كلـف الأمر.

والكـي في موقـع المثـل هـو القتـل ومـن المعـروف تأريخيًـا في أحـداث الفتنـة الكـبرى التـي أدت إلى مقتـل عثـمان بـن عفـان ومـا تبعهـا مـن الأحـداث الجسـام التـي أدت إلى حـروب داميـة بـين المسـلمين والآراء التـي قيلـت في ذلـك حـول قتلـه، ممـا حـدا بالإمـام عليه السلام أن يتخـذ هـذا النـوع مـن الـكلام مـع أصحابـه كـي يفهمـوا مقاصـده التـي يبنـي مـن ورائهـا إمسـاك الأمـر مـا استمسـك وإن لم يجـد بـه بـدًا فآخـر الـدواء القتـل[5].

١- ابن ابي الحديد، نهج البلاغة: ٩/ ٢٩١.

٢- الزمخشري: المستقصى ١/ ٤

٣- لقمان بن عاد: هو لقمان بن عاد بن ملطاط من بني وائل من حمير معمر جاهلي قديم من ملوك حمير، زعم اصحاب الأساطير أنه عاش عمر سبعة نسور مبالغة في طول عمره، وهو غير لقمان الحكيم الذي ذكره القرآن الكريم، ابن العربي: أحكام القرآن ٣/ ٥٣٨.

٤- ظ: الزمخشري: المستقصى ١/ ٤ - ٥.

٥- حسن طاهر ملحم، مؤسسة علوم نهج البلاغة (موقع الكتروني).

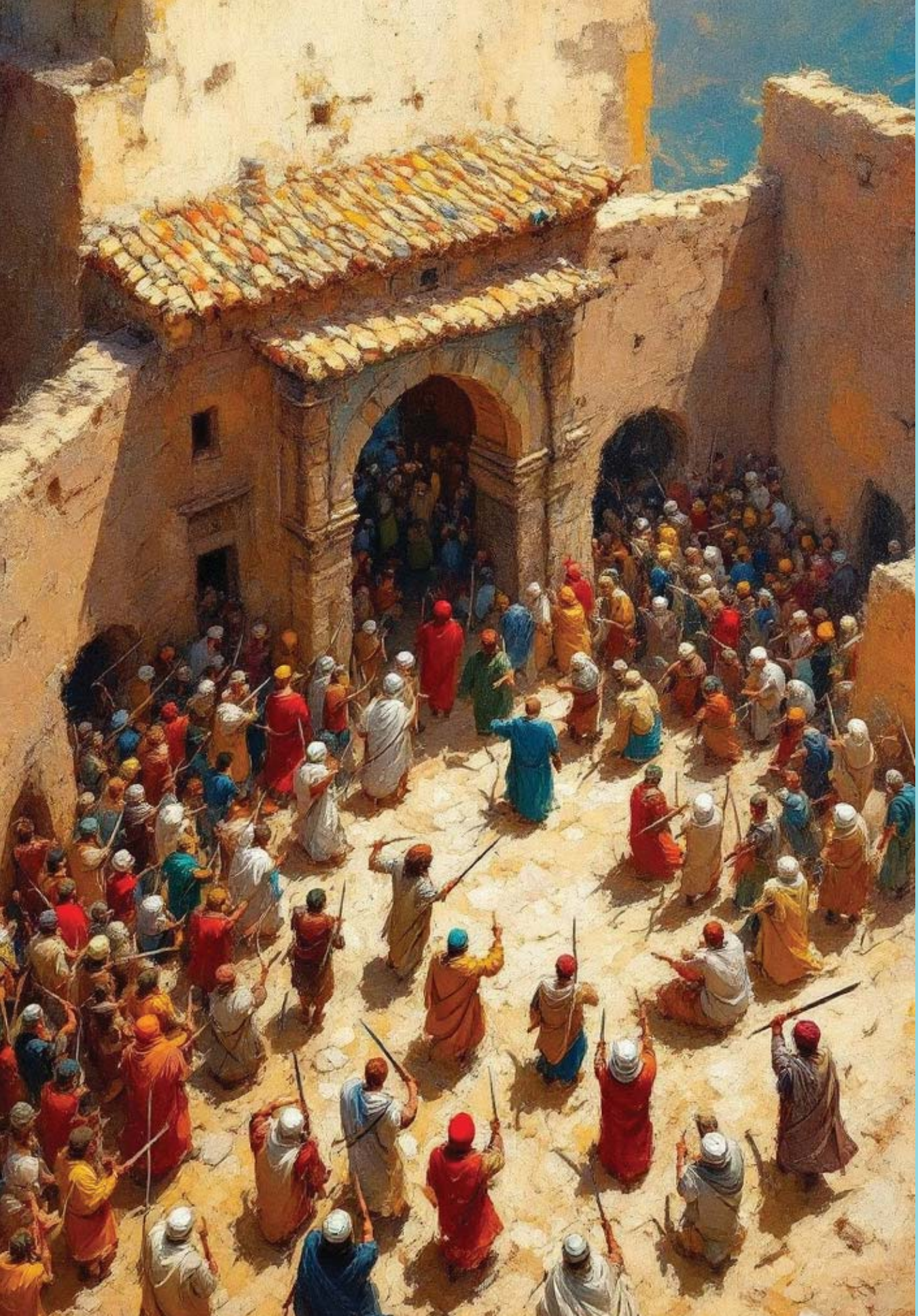

الصراط المستقيم

الولادة في جوف الكعبة
سر السماء الخالـــــــد

أ.م. د. أحمد حسين السعـــدي
جامعة بابل- كلية العلوم الاسلامية

فلسفةُ العقوبة فـي
منظـــور الإمام علي عليه السلام

أ.د. حسين الزيادي
جامعة ذي قار - كلية الآداب

الولادة في جوف الكعبة
سـر السمـاء الخالـد

لا يخفى على كل ذي بصيرة منصفة مكانة الإمام علي (عليه السلام)، وتلك البصيرة عليها أنْ تتحوّل من الإنصاف إلى الإيمان؛ لأن المُعتَقدَ بالحقِ أولى أن يتبعه، فالاعتراف اللساني و إن كان الخطوة الأولى إلا أنّه قد يكون مراوغًا، وربما يخفي غايات أكثر خطورة من المنكر في الأصل بشكل واضح.

أ.م. د. أحمد حسين السعدي
جامعة بابل- كلية العلوم الاسلامية

في جوف الكعبة:

إنّ حادثة الولادة في الكعبة المُشرفة اختبار لنا في الاعتقاد والحكمة ولو عدنا إلى المصادر الأقدم لوجدنا ما يؤكدها بشكل واضح في قول: ((استهل فانشق له الجدار دخلت لبوة الأسد من صدع الرب ولم تدخل من باب البشر لأنه ملوث بالأكدار وهناك على البلاطة الدموية الحمراء استهل صارخا فركعت الأصنام وتكسّرت السيوف ثم خرجت بعد ثلاث تحمل فلقة القمر وكانوا وجوما حول البيت إلا من صليل السلسلة في أفق السماء كنقر في طست السرافيم، ثم نشأ فردَّ الدَين وطهّر البلاطة من الأوثان وارتقى كتف الملكوت وكان سيفه أمضى من لهيب النار له شعبتان كأنهما لسان تنّين موسى ويل لكم من ساعده المفتول حيث يقتلع الباب وتهتز أسوار صهيون حيث يقد الحجر نصفين بسيفه المسلول))[1].

فإذا ما دققنا بالنص نجد أنّ الاستهلال يُراد به مجيء المخاض وبداية الإحساس بالولادة، أما دلالة لفظة انشق فتفضي إلى الحدوث بشيء من القوة والسرعة تتلاءم مع حالة الولادة المفاجئة وفعلها من حيث حيثياته، ثم كان الشق مكاناً لدخول اللبوة إذ جاء لفظ(اللبوة) دلالة على الجنس الداخل استعداداً للولادة، وليس هذا فحسب فإذا كانت الولادة للبوة فما الذي ستلده؟ غير أن يكون المولد أسدا دلالة على حمله لصفات تلك القوة وراثيًا، ولما سيؤديه من دور مستقبليًا، ويأتي في وصفها فاطمة بلبوة الأسد تطابقًا مع حقيقة الاسم فهي (فاطمة بنت أسد) وهذا الوصف يأتي بنوع من التأكيد، ولم يكن الدخول من الباب؛ لأنَّ أيدي كثيرة أمسكت به وأغلبها ملوثة وقد أريد لهذا المولود أن يبقى طاهرًا حتى قبل ولادته.

وقد تمّ الدخول وبقيت هناك ثلاثة أيام، وهذه مدة ليست بالقصيرة على حاملٍ جاءها المخاض وهي في ضعف ووهن تحتاج إلى مَن يساعدها كما تحتاج بشكلٍ ملحٍ إلى الطعام والشراب وهذا كله على المستوى البشري غير ممكن، إذ لا أحد، فمن الذي قدّم كل هذا؟

إذا ما عرفنا منطقيًا ثمة محاولات للدخول من الباب ولم يستطع أحد مع أنهم يدخلون من الباب متى ما أرادوا لِمَ هذه المرة؟ ما القوى التي ساعدت في عملية الولادة مع كل ما يصاحبها في الأيام الثلاثة، ومنعت القوم من الدخول لغرض معرفة ما يجري أو المساعدة فيه؟ فلماذا هذا التحصين للوالدة والمولود؟

لِمَ لم يرغب الله عز وجل أن يطلع أحدًا على ما يجري؟ ثم شاء الله تعالى أن تكون الولادة على البلاطة الحمراء وهي بهذا اللون موجودة في داخل الكعبة المُشرفة وكانت هي المتشرفة بالولادة مراعاة من الخالق للحالة النفسية للوالدة في التقارب اللوني لما يُصاحب الولادة ولون البلاطة، كما يبدو أن البلاط لم يكن كله بهذا اللون وكأنها عُدت لهذا الحدث العظيم، ثم كان الخروج والقوم وجوما مترقبين صامتين مندهشين مِن الذي حدث ولم يكن بالحسبان ومع الصمت المخيَّم على الوجوه الواجمة هناك صوت لم يدركوه وهو صوت خفي

يتناغم مع المعجزة (الحدث)، ثم كان له عَودٌ إلى ذات البلاطة التي ولد عليها وهذا كناية عن الكعبة المشرفة فكما ولد فيها عاد ليعلن ولادة دين خال من الأوثان، مرتقيًا كتف الملكوت إشارة إلى صعوده على كتف رسول الله ﷺ[٢].

وإذا ما ذهبنا لنسأل عن مكان انشقاق الجدار؟ كلنا يعلم أنه في ركنٍ من أركانِ الكعبة المشرفة وهو الركن اليماني فلِمَ فُتح من الركن؟ كان من الممكن أن يكون في موضع منه، اعتقد أن الإجابة لا تحتاج إلا إلى أن تكون صادقًا مع نفسك أن الدخول والخروج من ذات المكان المحدد إنما أراد الله أن يقول لنا أن إمامته هي الأخرى ركن ولا يكون تمام الدين وكماله إلا بالاعتراف بهذا الذي دخل وخرج من الركن.

وطرح بعضهم أن الولادة لم تحصل معللين ذلك بما يُصاحب عملية الولادة من دم وغيره وهذا فيه تدنيس للكعبة المشرفة، والحقيقة إذا كان البيت هو بيت الله والاختيار اختياره فما علاقتنا في طرح منافيات وتبريرات[٣].

يحط الذنوب:

ثَمَّ سؤال آخر يحدو خلف إجابةٍ وهو لماذا يعدُّ المسح على الركن اليماني يحطُّ الذنوب[٤]؟ وما الذي يستوجبه المسح؟ والجواب هو أن يكون الركن ظاهرًا أمامك وأن تمد يدك إليه مباشرة وتقوم بعملية المسح، وهذا يتطلب أن يكون الركن مكشوفًا بصورة دائمية ومستمرة، ولا يُمكن تغطيته لأن فيه سُنة، ألم تتلاءم هذه السُّنة مع معجزة الشق والدخول ثم الولادة والخروج كي يبقى الأثر ظاهرًا يذكرنا بها وبمقام من حصلت من أجله.

وإذا كان الركن اليماني يحطُّ الذنوب حطًّا كما ورد عن النبي محمد ﷺ والحجر الأسود مُبارك له خصائص والعمل نفسه فما الذي يجب علينا فهمه؟ غير أن مكان التواجد للولادة وللحجر حصَلا بأمرٍ مصدره واحد ليتمتعا بذات التأثير في تطهير الناس من الذنوب لأن الاعتقاد بهما يقينًا سيخلص أنفسنا مما يعتريها من التناقضات، فالاعتقاد بهذا الحجر من حيث أنه مُنزلٌ من السماء وإنّ في هذا الإنزال حكمة يتعامل بها الناس عن طريق الاعتقاد به ولاسيما أنّ الطواف لبداية الحج يبدأ منه، سنفهم في الركن الآخر (اليماني) الأمور عينها فإن بداية الخلاص يأتي من الاعتقاد بصحة عملية الولادة، فإن كان الطواف بداية لشعِيرة ولركنٍ يؤدى حسب الاستطاعة[٥]، فهي مع الاعتقاد ليست كذلك، إذ لا سماح لمن لا يؤديها ولا بد لي من أن اعتقد بكل ما حصل في الركن الآخر ولا سبيل آخر بدونها، وإن تأديتها مستطاعة، فمعادلة الحج والاستطاعة من المُمكن أن تنطبق على الركن الذي يحتضن الحجر الأسود، ولكن لا يُمكن تطبيق المعادلة نفسها في الركن الذي احتضن الولادة.

وعندما ينقل أبو هريرة في الحديث أن مفاوضة الحجر الأسود هي بمثابة مفاوضة يد الله جل وعلا[٦] وأن اللطيف الخبير تعالت اسماؤه يُصافح به عباده كما يفعل الإخوة، وأنه يمين الله في الأرض[٧]، فإن في الركن الآخر علاوة على أن الجدار نفسه يُصافح لحط الذنوب إكرامًا لمن شُق من أجله، وكانت ولادة اليد الذي يفترض أن تُصافحَ.

ومثلما يكون بداية الطواف من الحجر الأسود ويهم الناس بتقبيله والمسح عليه تيمنًا متى ما أرادوا، فإن هذا العرض أمامه يعني قيامه بتخزين صورتك وتسجيل ورودك عليه[٨] هذا يعني جزءًا من بيعتك لله عز وجل حين تأتي العبادات من حيث أمرك هو لا من حيث ما تشتهي فتُغَلِبَ إرادتَه وتمضي معها وإن كنتَ تجهل العلة.

ومن هنا عليك أن تعي لماذا وُلِد علي عليه السلام في بيت الله ووُلِدنا أنت وأنا في بيوتنا، ما الرسالة التي أراد الخالق تعالى أن يوصلها لك ؟ ولمَ جعل الركن الذي ولد فيه بتلك الأهمية الإعجازية والعبادية؟

ولأنّه ركن الولادة فإن الله تبارك وتعالى شرّفه وكرّمه حين جعل فيه الاستجارة حتى سُمي المُستجار[١٠]، والسؤال لِمَ سمي كذلك؟ إنها سُنة الرسول صلى الله عليه وآله لأنه كان يدعو بهذه الآية المُباركة: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[سورة البقرة: ٢٠١]، وهذه السُنة لم تأتِ اجتهادًا وإنما أراد أن يعطي المكان أهمية حين ربطه بالنجاة حسب مفهوم الآية الكريمة، لأن الاعتراف بذلك الذي ولد في هذا الركن والمضي خلفه يُحقق لنا الإثابة والوقاية ويجعلنا داخلين في حالة التكامل للمعطيات المؤسسة للفوز والفلاح.

ولما تقدم يتضح ان ما حصل في ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة لا يمكن أن يعدّ أمراً اعتياديّا حصل اتفاقًا دون قصد وإرادة من الله سبحانه وتعالى؛ لرعاية أوليائه المصطفين منذ ولادتهم زمانًا وكيفيةً؛ لتكون تلك الكيفية في الولادة شاهدًا حيًا على عظم الألطاف والرعاية الإلهية لمن سيكون له الفضل على الخلق في قابل الأيام ولا بد من الإيمان بكل ذلك ولا يقبل عذر من يعتذر بعدم الدراية والعلم فالحجة قائمة بأعلى مستوياتها والعاقبة لمن اتقى.

١. منظومة الأدب العبري، العبور من شق الجدار: ١/ ٢٣٢. قال يزيد بن قعنب: ((فرأيت البيت قد انشقَّ عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنَّ ذلك من أمر الله تعالى، ثُمَّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ﷺ)) (كشف الغمَّة ١: ٦٠).

٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: ((قَالَ لِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ دَخَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَكَّةَ وَفِي الْبَيْتِ وَحَوْلَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وستون صَنَمًا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُلْقِيَتْ كُلُّهَا لِوَجْهِهَا، وَكَانَ عَلَى الْبَيْتِ صَنَمٌ طَوِيلٌ يُقَالُ لَهُ: هُبَلُ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ لَهُ: «يَا عَلِيُّ تَرْكَبُ عَلَيَّ أَوْ أَرْكَبُ عَلَيْكَ لِأُلْقِيَ هُبَلَ عَنْ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ تَرْكَبُنِي، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى ظَهْرِي لَمْ أَسْتَطِعْ حَمْلَهُ لِثِقْلِ الرِّسَالَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ (بَلْ) أَرْكَبُكَ، فَضَحِكَ ونَزَلَ، فَطَأْطَأَ لِي ظَهْرَهُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَيْهِ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَمَسَّ السَّمَاءَ لَمَسِسْتُهَا بِيَدِي، فَأَلْقَيْتُ هُبَلَ عَنْ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ... ﴾ يَعْنِي قَوْلَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ... ﴾ يَعْنِي وذَهَبَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ ﴿... إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ يَعْنِي ذَاهِبًا، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ)) (الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١ / ٤٥٣).

٣. قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

٤. ما جاء عن ابن عمر: ((قال رسول ﷺ إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا)) (رواه أحمد بإسناد صحيح)، وروي أن استلامه يكفر الذنوب، أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: ((إن مسح الركن اليماني والركن الأسود يحط الخطايا حطًا)). فقد مرَّ بنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًّا)) (صحيح الجامع: ٢١٩٤)

٥. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧).

٦. عن أبي هريرة أخرجه ابن ماجه قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((مَن فاوض الحجر الأسود فكأنما يُفاوض يد الرحمن)).

٧. وجاء في كتاب (فضائل مكة) للجندي من حديث ابن جريج، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن ابن عباس: ((إنَّ هذا الركن الأسود هو يمين الله في الأرض، يُصافح به عباده مصافحةَ الرجل أخاه)).

٨. الحجر الأسود حجرٌ في زاوية الكعبة المشرفة، يبدأ منه الطواف، ويُشرع تقبيله واستلامه، وأخبر رسول الله ﷺ أن الله سيبعث الحجر الأسود يوم القيامة له عينان يرى بهما فيعرف من استلمه، وله لسان يتحدث به، يشهد لمن استلمه بحق، أي استلمه إيمانًا واحتسابًا.

٩. وأخرجه عن مجاهد، عن ابن عبّاس وفي الصواعق: ١٢٤ لابن حجر، قال: ((روى ابن السماك أنّ أبا بكر قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلاّ من كتب له علي الجواز))، وقد أورده الذهبي أيضًا في ميزان الاعتدال: ٢: ٢٨ و٤٤، غير أنّه قال: في الحديثين بأنّهما خبران باطلان تبعًا لابن الجوزي.

١٠. وأمّا المستجار، فهو ما بين الركن اليماني والباب المسدود في دبر الكعبة والدعاء عنده مستجاب (ابن ظهيرة، الجامع اللطيف: ٤٥)

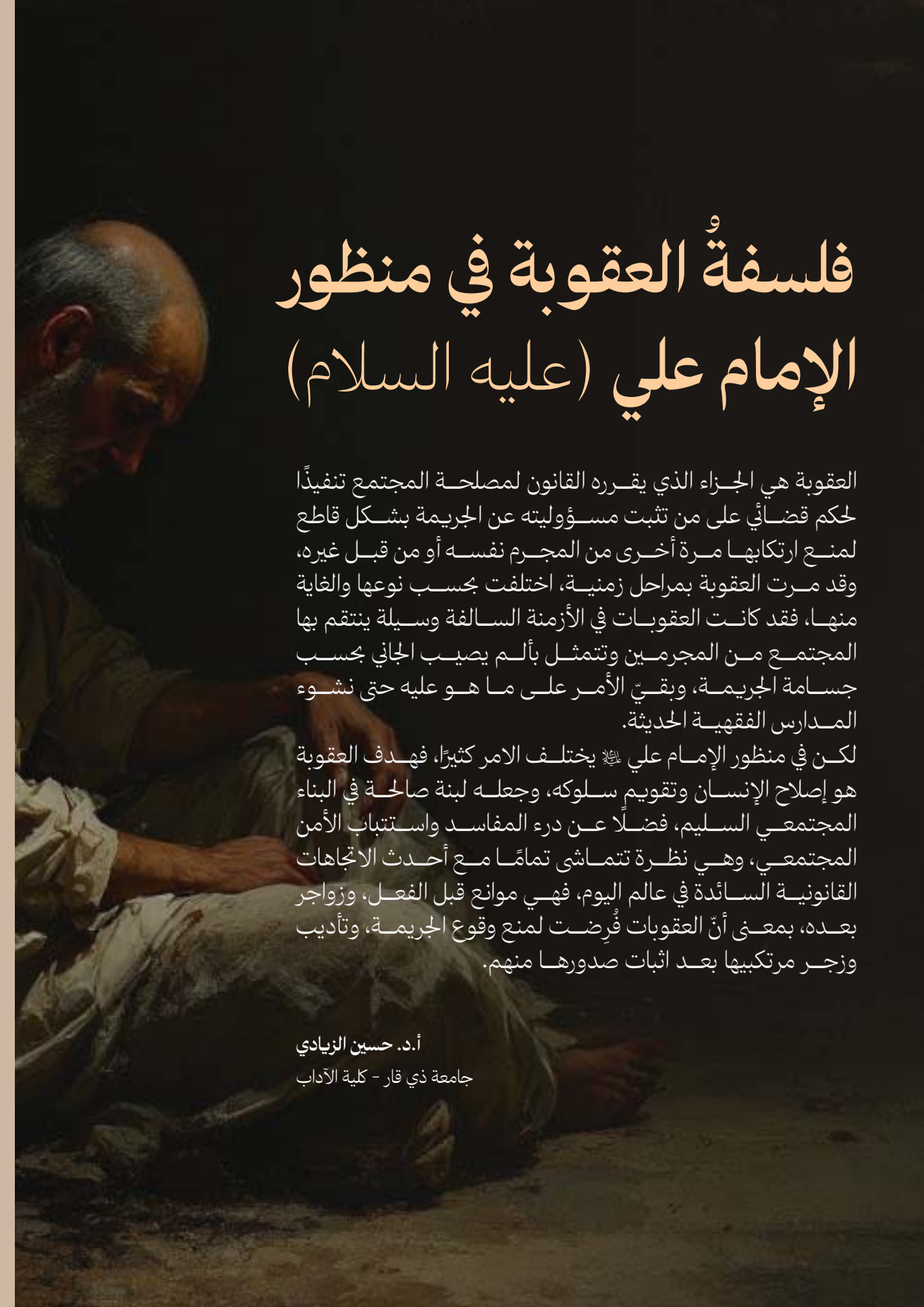

فلسفةُ العقوبة في منظور الإمام علي (عليه السلام)

العقوبة هي الجـزاء الذي يقـرره القانون لمصلحـة المجتمع تنفيذًا لحكم قضـائي على من تثبت مسـؤوليته عن الجريمة بشـكل قاطع لمنـع ارتكابهـا مـرة أخـرى من المجـرم نفسـه أو من قبـل غيره، وقد مـرت العقوبة بمراحل زمنيـة، اختلفت بحسـب نوعها والغاية منهـا، فقد كانـت العقوبـات في الأزمنة السـالفة وسـيلة ينتقم بها المجتمـع مـن المجرمـين وتتمثـل بألـم يصيـب الجاني بحسـب جسـامة الجريمـة، وبقـيّ الأمـر علـى مـا هـو عليه حتى نشـوء المـدارس الفقهيـة الحديثة.

لكـن في منظور الإمـام علي عليه السلام يختلـف الامر كثيرًا، فهـدف العقوبة هو إصلاح الإنسـان وتقويم سـلوكه، وجعلـه لبنة صالحـة في البناء المجتمعـي السـليم، فضـلًا عـن درء المفاسـد واسـتتباب الأمن المجتمعـي، وهـي نظـرة تتمـاشى تمامًـا مـع أحـدث الاتجاهات القانونيـة السـائدة في عالم اليوم، فهـي موانع قبل الفعـل، وزواجر بعـده، بمعـنى أنّ العقوبات فُرِضـت لمنع وقوع الجريمـة، وتأديب وزجـر مرتكبيها بعـد اثبات صدورهـا منهم.

أ.د. حسين الزيادي
جامعة ذي قار - كلية الآداب

قد وافق القانون الوضعي إلى حد بعيد هذه المقاصد التي أرسى قواعدها الإمام علي عليه السلام منذ أربعة عشر قرنًا وفق مبادئ وأسس متينة يمكن ملاحظتها من خلال الآتي:

وطدَ الإمام عليه السلام لمبدأ قانوني مهم يُعد من أبرز القواعد القانونية في عالمنا اليوم وهو مبدأ: لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، وهو مبدأ أستلّه عليه السلام من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[القصص:٥٩]، أي أن الله سبحانه وتعالى لا يُعذّب الأمم بمجرد كفرهم قبل إقامة الحجة عليهم فيصبحوا بذلك مستحقين للعقاب بكفرهم وظلمهم.

العقوبة لدى الإمام عليه السلام تأخذ اتجاهين هما: التعيين بالنص لبعض الجرائم التي حددت لها عقوبات معينة، والاتجاه الثاني هو تفويض الإمام عليه السلام لما يراهُ في بعض جرائم الحدود والقصاص، ويطلق على هذه العقوبات بالتعازير، وهو ما يسمى اليوم بقانونية الجرائم والعقوبات، أي ان تكون العقوبة مقررة بنص في القانون، أو بناء على قانون من حيث نوعها ومقدارها، والمشرّع وحده هو الذي يحدد العقوبة، وما على القاضي الا تطبيق تلك العقوبة بلا اجتهاد منه، ولا يجوز له استبدالها بعقوبة غير منصوص عليها، وقد أكد الإمام عليه السلام على هذا المبدأ كما سيأتي ذكره.

أكد الإمام عليه السلام على علانية العقوبة، إذ تحظى دكة القضاء بأهمية كبيرة في فكر الإمام عليه السلام، فقد أبدى لومه وعدم رضاه على شريح القاضي لأنه قضى بين المتخاصمين في بيته، موضّحا له ما نصه «أعدل بين الناس وأنه وهن بالقاضي أن يجلس في بيته»، وهذه الكلمات تحمل بين طياتها فكرًا قانونيًا وأخلاقيًا يتناسب مع ضمانات التقاضي في العصر الحديث، وفلسفة اجتماعية هدفها الارتقاء بالمجتمع إلى درجات الكمال والرفعة، كما أنها من جانب آخر تهدف إلى ترسيخ وتعزيز الأمن الاجتماعي، وتحقيق العدالة بين إفراد المجتمع، ولاشك أنَّ تأكيد الإمام عليه السلام على عقد مجلس القضاء في الجامع يقصد منه علانية الدعوى أولًا، والردع لبعض الناس ممن تسوّل له نفسه ارتكاب الجرم نفسه ثانيًا، واظهار الشفافية في الحكم ثالثًا، فضلًا عن اكساب ثقة الآخرين بالقضاء، وتحقيق الهيبة والوقار للقضاء، وهذه الأهداف لايمكن تحقيقها لو لم تكن المحاكمة علنية[1].

العدل في العقوبة: العقوبة تكون واحدة لدى جميع الأفراد والجميع سواسية أمام القانون، والمساواة هنا يعنى بها خضوع جميع الأفراد للنص الذي يحكم تلك الجريمة، أي على الرغم من أن النص القانوني يسري على جميع الأفراد إلا أن هذا لا يعني أن تقع العقوبة نفسها ومقدارها على كل من يرتكب جريمة من نوع معين، بل يترك للقاضي حرية تقدير العقوبة من حيث النوع والمقدار ولكن ضمن النطاق المقرر، وهو أمر يتماشى مع ما أقرّته التشريعات الحديثة ضمن ما يسمى السلطة التقديرية للقاضي.

شخصية العقوبة: تعني أنّ العقوبة تلحق المحكوم عليه وحده ولا توقع على غيره مادام لم يسهم في ارتكاب الجريمة، وهو ما يسمى اليوم بمبدأ شخصية العقوبة، أي أنّ العقوبة لا تطال غير الجاني، وهو أمر مستوحى من كتاب الله تعالى كما

نظر الإمام علي (عليه السلام) للعقوبة بمبادئه السّمحاء ورؤيته الشاملة على أنّها وسيلة لإقامة العدل والرّدع للجاني عن ارتكاب الجريمة وليس بوصفها وسيلة للانتقام والأذى، كما أنّها عبرة للآخرين تمنعهم من ارتكاب الجريمة.

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الأنعام/ ١٦٤].

أن تأديب المجرم ليس معناه الانتقام والتنكيل به، وإنما استصلاحه قدر الإمكان، والعقوبات على اختلاف أنواعها بحسب فلسفة الإمام ﷺ شرعت رحمة من الله بعباده وقد روي أنه أمر بضرب أحد المدانين فقال له الأخير قتلتني يا أمير المؤمنين فقال له ﷺ: «الحق قتلك، فقال له ارحمني فقال الإمام لم أر ارحم بك ممن أوجب عليك الحد»[٢] ولأن المقصود من التأديب الزجر عن الجريمة، وأحوال الناس مختلفة فمنهم من يرتدع بالنصيحة ومنهم من يحتاج إلى الحبس[٣].

لم يكن في قانون الإمام علي ﷺ تعدي أو تجاوز في العقوبة وهذا ماتم تطبيقه في كثير من القضايا، وهو أمر يتطابق مع المادة الأولى من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩: ((لا عقاب على فعل أو امتناع إلا بناء على قانون))، فالعقوبات في الإسلام شُرّعت لصلاح المجتمع وتقويم السلوك الإنساني وليست من أجل التشهير بالمجرمين أو تعذيبهم والقسوة عليهم، ومن أهم الأصول المحققة لهذه الأهداف: أن تكون العقوبة بحيث تمنع الجريمة قبل وقوعها، فإذا ما وقعت الجريمة كانت العقوبة بحيث تؤدب الجاني وتزجر غيره عن التشبّه به وسلوك طريقه، وأنّ حد العقوبة يتوقف على حاجة الجماعة ومصلحتها فإذا اقتضت مصلحة الجماعة التشديد شددت العقوبة واذا استلزم الأمر التخفيف خففت العقوبة، وأن كل عقوبة تؤدي لصلاح الأفراد وحماية الجماعة هي عقوبة مشروعة فلا ينبغي الاقتصار على عقوبات معينة دون غيرها.

الجانب الإنساني في العقوبة: أتبع الإمام ﷺ سياسة العفو في إقامة الحدود وغيرها من المسائل المتعلقة بالجانب القضائي، وهذا النهج انتهجه بحسب تقديره للحالة، فقد جاء في وسائل الشيعة: جاء رجل الى

الإمام علي ﷺ فأقر بالسرقة فقال له ((أتقرأ شيئًا من القرآن؟ قال: نعم سورة البقرة، قال ﷺ: قد ذهبت يدك لسورة البقرة، فقال الأشعث: أتعطِّل حدًا من حدود الله؟ قال: إذا قامت البينة فليس للإمام أن يعفو وإذا أقر الرجل على نفسه فذلك للإمام إن شاء عفا وإن شاء قطع))[٤]، ويتضح أنّ عفو الإمام يكون في الحدود التي تكون لله وليس فيها حق الناس، أما الحد الذي يغلب عليه جانب حق الناس في مخاصمة أو رد أي حق آخر كحد القذف وغيره فالعفو دائر مدار عفو من له الحق.

إنَّ العقوبات في منظور الإمام ﷺ ليست قاسية إلا بالمستوى المطلوب لتحقيق الردع والزجر، وفي القانون الوضعي فإنّ أبرز هدف للعقوبة هو الردع الخاص، وتحقيقه يكون بإتباع أساليب مختلفة كالإصلاح والتأهيل التي تتنوع بحسب درجة الخطورة الإجرامية للمحكوم عليهم مما يستلزم معه التنوّع في العقوبة، لم يكن ردع الجريمة الغاية المنشودة الوحيدة من تشريع العقوبة فحسب، وانما تهدف إلى غاية أسمى وأبعد، وهي إصلاح المجرم نفسه ليكون فردًا صالحًا وعنصرًا نافعًا في بناء صرح المجتمع وعمارة الأرض التي من أجلها وهبت له الحياة[٥].

في السيرة القانونية للإمام ﷺ يلحظ أنّ هناك عناية بالسجناء من النواحي الجسدية والروحية والفكرية، فكان ﷺ يتابع طعامهم وشرابهم ويصرف لهم كسوة الصيف والشتاء، ويتم علاجهم داخل السجن، ومن الناحية التعبّدية أقرّ للسجناء حق الخروج لأداء صلاة الجمعة والعيدين، مع حق ذويهم وأهلهم في زيارتهم، فقد روي عن الإمام الباقر ﷺ: ((إن عليًا ﷺ كان يخرج أهل السجون من الحبس في دين أو تهمة إلى الجمعة فيشهدونها، ويضمّنهم الأولياء حتى يردّونهم))[٦]، وعن الإمام الصادق ﷺ قال: ((على الإمام أن يخرج المحبسين في الدين يوم الجمعة الى الجمعة ويوم العيد الى العيد فيرسل معهم فاذا قضوا الصلاة والعيد ردوّهم إلى السجن))[٧]، كما اهتم الإمام علي ﷺ بتوفير وسائل اتصال السجناء مع ذويهم، وملاقاة نسائهم، ولم يغفل الإمام ﷺ عن تعليم السجناء القراءة والكتابة والأحكام الدينية والعقائدية ومن الطبيعي أن يؤسس هذا الفكر فيما بعد للفكر الجنائي الإسلامي بل والإنساني بشكل عام[٨]، وهذه التوجهات تتفق تمامًا مع المعايير الدولية والقواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء والمحتجزين التي أوصى بها مؤتمر الأمم المتحدة الأول لمنع الجريمة المعقود في جنيف عام ١٩٥٥، ضمن المادة (٣٧) والأعراف والمواثيق الدولية اللاحقة.

أسّس الإمام علي بن أبي طالب ﷺ قواعد الحد الأعلى وليس الأدنى لمعاملة المسجونين وتنظيم السجون بوصفها مؤسسة علاجية – تصحيحية، ثم ذاعت وسطعت فكرة السجون في الدولة الإسلامية وخاصة في العهدين الأموي والعباسي، غير أنّ الهدف منها اختلف وأصبحت وسيلة للتنكيل والانتقام من السجناء، لاسيما المعارضين منهم والناقمين على التعسف والظلم، ولم يطبق الفكر الإصلاحي للسجن إلا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي أكّد في كتبه إلى عماله ما جاء به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ[٩]، كما أن تلك الأفعال تتطابق مع المبادئ والقواعد النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء لعام ١٩٥٧،

والمبـادئ الخاصـة بحمايـة السـجناء لعـام ١٩٨٨، ومدونة السـلوك لمأمـوري الضبـط القضائي ١٩٧٩، وجميع المعاهـدات والاتفاقيات الدوليـة ذات الصلة.

أكّـد الإمـام عـلي ﷺ عـلى عـدم خضـوع العقوبة لأهـواء الحاكمـين ومزاجهـم مـن خـلال شروط ومعايـير اختيـار القضـاة وتقييـده بقوانـين وضوابط شرعيـة لا يحيد عنها سـواء أكانـت في العقوبة النصية أم التفويضيـة وأعطى للقضـاة صلاحيـة تشـديد العقوبـة وتخفيضهـا تبعًـا لشـدة الجريمة وجسـامتها، مـع الابتعاد عن هدف الانتقـام، ومما جاء في عهده ﷺ لمالـك الاشـتر والمتعلـق باختيـار القضـاة: ((اختـر للحكـم بـين النـاس أفضـل رعيتك في نفسـك ممن لا تضيـق به الأمور، ولا تمحكه الخصـوم، ولا يتمادى في الزلـة، ولا يحـصر مـن الفـيء إلى الحـق إذا عرفه، ولا تشرف نفسـه على طمـع، ولا يكتفي بأدنـى فهم دون أقصـاه، وأوقفهـم في الشـبهات، وأخذهـم بالحجج، وأقلهـم تبرمـا بمراجعـة الخصـم، وأصبرهـم عـلى تكشـف الأمـور، وأصرمهـم عند اتضـاح الحكم ممن لا يزدهيـه إطراء ولا يسـتميله إغـراء))[١٠].

يُعـد الإمـام أمـير المؤمنـين ﷺ أول مـن أسّـس قواعـد السـجون عـلى أسـاس الفكـرة الجزائيـة الإصلاحيـة، فحينـما تـولى الخلافـة اهتم بالسـجن في إشـارة إلى عزمـه عـلى بناء دولـة القانون، فبنى سـجنًا في الكوفـة مـن قصب وسـماه (نافعًـا)، ثم بنى سـجنًا آخـر من مدر وسـماه (مخيسًـا)، وقـد عمـد الإمام ﷺ إلى وضـع قواعـد خاصـة في معاملـة المسـجونين تقـوم عـلى أسـاس الحفـاظ عـلى كرامـة الإنسـان واسـم النافـع يقصـد منـه النفـع ضـد الـضرر، وكان يقصـد منـه تقويـم المسـجون، والتخييـس بمعنـى التذليـل والتليـين والمرونـة، ومـؤدى ذلـك الجـزاء والاصـلاح[١١].

رائد الفكر الإنساني والقانوني:

تأسيسًـا لما تقـدَّم يتَّضـح أنَّ القواعـد والنظريات والممارسـات التـي أرسـاها الإمـام ﷺ تعـد قفـزة كبـيرة قياسًـا لعـصره، فالإمـام ﷺ يُعـدّ رائـد الفكـر الإنسـاني والقانـوني ولم تصـل البشريـة الى حقيقـة الأطروحـات العلويـة إلا بعـد القـرن التاسـع عـشر وبدايـات القـرن العشريـن، إذ نظـر الإمـام عـلي ﷺ للعقوبـة بمبادئـه السّـمحاء ورؤيته الشـاملة على أنها وسـيلة لإقامـة العـدل والـرّدع للجـاني عـن ارتكاب الجريمة وليس بوصفها وسـيلة للانتقـام والأذى، كما أنهـا عـبرة للآخريـن تمنعهـم مـن ارتـكاب الجريمة، فهـذه الفلسـفة تقـوم عـلى أسـاس أخلاقـي وتربوي واصلاحـي وتقويمـي، تهـدف للـردع وليـس للقمع والانتقـام والتنكيـل، فهـي لم تكـن غايـة ولا وسـيلة بـل هـدف لتحقيق غاية ووسـيلة وهي اصـلاح الفرد والمجتمـع، بوصـف الفرد اللبنـة الرئيسـة للمجتمع، فالمعاقـب لا تُنسْـلَخ عنـه حقوقـه الإنسـانية والمدنية، وهـي حقـوق متأصلـة لا تُهـب ولا تُعطى بـل يجب مراعاتهـا وعـدم تجاوزهـا، لأنّ نظـرة الإمـام ﷺ إلى العقوبـة تنقسـم على قسـمين :

الأوّل: أنّها حماية للمجتمع.

والثـاني: أنّهـا وسـيلة للحفاظ على كرامة الانسـان وعدم التفريـط بحقوقه.

ولم تكن الأفعال المادية مصدر اهتمام الإمام عليه السلام بل كانت فلسفته تقوم على أساس البعد المعنوي والنفسي للعقوبة، فمجرد شعور الانسان بأنّه معاقب أو مسجون سيكون له تأثير كبير في تعديل سلوكه، وهذا ما نلحظه من طريقة بنائه للسجون فقد بني السجن الاول (النافع) من القصب والسجن الاخر (المخيس) من الطين، ومن خلال مادة البناء يتضح أنَّ الهدف الرئيس هو أشعار المسجون بتعديه على الحقوق الخاصة والعامة، والسجن بوصفه عقوبة هو وسيلة لتحقيق هذا الهدف، فالهدف ليس التضييق على السجين وإنما إصلاحه اجتماعيًا وتهذيبه نفسيًا.

١. صبيحي محمصاني، فلسفة التشريع في الاسلام.
٢. فاضل عباس الملا، الامام علي ومنهجه في القضاء: ٢٥٢.
٣. نوال بولنوار، مقاصد العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي الحديث: ٧٢.
٤. محسن باقر القزويني، الحقوق والحرّيات من مِنظار علي بن أبي طالب عليه السلام بالمقارنة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مجلة اهل البيت: العدد ٣: ٣٩.
٥. يوسف سليمان إسماعيل الطحان، العقوبات في الشريعة الإسلامية أنواعها، ومقاصدها، وآثارها، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية: العدد ١: ٢.
٦. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ١/ ٥٢٦
٧. الحر العاملي، الوسائل: ٣/ ٤٠٦.
٨. د. أحمد الوائلي، أحكام السجون بين الشريعة والقانون: ١٢٣.
٩. د. أحمد الوائلي، المصدر نفسه: ١٩١-١٩٣.
١٠. ظ: محمد تقي الحكيم، مالك الاشتر حياته وجهاده.
١١. جمال ابراهيم الحيدري، عدالة السجون في فكر الامام علي عليه السلام، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد: ٣١.
١٢. نظر الإمام علي عليه السلام للعقوبة بمبادئه السّمحاء ورؤيته الشاملة على أنّها وسيلة لإقامة العدل والرّدع للجاني عن ارتكاب الجريمة وليس بوصفها وسيلة للانتقام والأذى، كما أنّها عبرة للآخرين تمنعهم عن ارتكاب الجريمة.
١٣. لم يكن في قانون الإمام علي عليه السلام تعدي أو تجاوز في العقوبة وهذا ما تم تطبيقه في كثير من القضايا، وهو أمر يتطابق مع المادة الأولى من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩: ((لا عقابَ على فعلٍ أو امتناع إلا بناء على قانون)).

عليٌ اشتق من العلي

روي عن الحافظ الكنجي الشافعي، عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي طالب فقال: لقد سألتني عن خير مولود وُلِد في شَبه المسيح عليه السلام، إن الله تبارك وتعالى خلق عليًا من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد، ثم إنَ الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية، فما نقلت من صلب إلا ونُقل علي معي، فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع عليًا خير رحم وهي فاطمة بنت أسد.

وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة، فبعث الله إليه أبا طالب، فلما بصره المبرم قام إليه وقبل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال: من أنت؟

فقال: رجل من تهامة، فقال: من أي تهامة؟

فقال: من بني هاشم، فوثب العابد فقبّل رأسه ثم قال: يا هذا إنّ العلي الأعلى ألهمني إلهامًا، قال أبو طالب: وما هو؟

قال: ولد يولد من ظهرك وهو ولي الله جل وعلا، فلما كانت الليلة التي ولد فيها علي أشرقت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربَّ هذا الغسق الدجي والقمرِ المنبلج المضي
بيِّن لنا من أمرك الخفي ماذا ترى في اسم ذا الصبي

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهلَ بيت المصطفى النبي خصصتم بالولدِ الزكي
إنَّ اسمه من شامخ العلي عليٌّ اشتق من العلي

ظ: الشيخ الأميني، إيمان أبي طالب: ٢٥- ٢٦

لسان الأُمـة

أسلوب الطلب في العهد العلوي
الأمـــر مثـــــالًا

أ.د.حيدر عبد الحسين زوين
كليـة الآداب- جامعة الكوفة

أسلـــوب الطلـب في العهـد العلـــوي

الأمـــر مثـــالاً

أ.د حيدر عبد الحسين زوين
كلية الآداب- جامعة الكوفة

إنَّ مفهوم أسلوب الطلب هو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، ويشمل أساليب متعددة وهي : (الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء)[1] كما في قوله تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة الحجر: ٩٤]، وقوله: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿**يا ليتني قدّمتُ لحياتي**﴾ [الفجر: ٢٤]، وقوله - جلّ وعلا}: ﴿**سيقولُ السفهاءُ من الناسِ ما ولاهم عن قبلتِهم التي كانوا عليها**﴾[سورة البقرة: ١٤٢]، أما أسلوب الأمر فهو يعد أحد الأنماط التي تنتمي إلى أسلوب الطلب وقد قسّم النحاة الجمل العربية على قسمين جمل إسمية وجمل فعلية، وأما البلاغيون فقد قسّموا الجمل على صنفين أما طلبية أو إنشائية ولهذا الأسلوب صيغ مختلفة يتردد عليها من ضمن سنن العرب في كلامها كما وضع الدارسون آليات محددة يُدرس على أساسها هذا الأسلوب أو أي أسلوب آخر، وبما أنّ أسلوب الطلب من أقسام علم المعاني الذي حده البلاغيون بأنه : العلم الذي يدرس بغية الاحتراز من الوقوع في الأخطاء المعنوية[2]؛ فلا بد من تبني مجموعة أو منظومة أسلوبية تأخذ على عاتقها هذه المسؤولية، وهو لغةً مأخوذ من الفعل الماضي الثلاثي الجذر اللغوي:(أمر، يأمر، أمرًا)،واصطلاحًا: بمعنى الطلب أو الحال والشأن والسلطة[3] ومنه قوله تعالى: ﴿لله الأمرُ من قبل ومن بعد﴾ [الروم: ٦].

العهد العلوي:

إنّ عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك بن الحارث الأشتر النخعيّ (رضوان الله عليه) حين ولّاه مصر، من أطول العهود التي كتبها عليه السلام، وأجمعها لمحاسن الآداب والسياسة، وهو معروف مشهور عند المسلمين، نقله علماء الشيعة وعلماء السنّة، بطرق متعددة، وبعضها معتبر، ومتنه أصدق شاهد على صحّته، وقد تلقاه الأصحاب بالقبول خلفًا عن سلف، واستدلّوا بفقرات منه في بعض المسائل الفقهيّة.

ومن مصادر هذا العهد الذي نقله بتمامه أو مقاطع منه جمعٌ من علماء الشيعة والسنّة، نذكر منهم:

١ـ ابن شعبة الحرّاني - وهو من أعلام القرن الرابع الهجريّ -، في كتابه تحف العقول ص١٢٦.

٢ـ القاضي نعمان المغربيّ - المتوفى سنة ٣٦٣هـ -، في كتابه دعائم الإسلام ج١ ص٣٥٠.

٣ـ الشريف الرضي - المتوفى سنة ٤٠٤هـ -، في كتابه نهج البلاغة ج٣ ص٨٢.

٤ـ جار الله الزمخشريّ - المتوفى سنة ٥٣٧هـ -، في كتابه ربيع الأبرار ج٥ ص١٨٩.

٥ـ ابن حمدون - المتوفى سنة ٥٦٢ هـ -، في كتابه التذكرة الحمدونية ج١ ص٣١٥.

٦ـ ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري - المتوفى سنة ٦٠٥هـ، وهو من ذرية مالك الاشتر -، في كتابه تنبيه الخواطر ج١ ص٧١.

أسلوب الأمر ودلالاته في عهد الإمام علي عليه السلام:

تمثل في قوله عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي[4] حينما ولّاه مصر: ((ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدلٍ وجورٍ،

وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنتَ تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبُّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحببتْ أو كرهتْ))[٥].

فقد ورد أسلوب الأمر في هذا النص لأربع مرات متتالية ويتمثّل في الأفعال الأمرية: (اعلم، وفليكن، واملك، وشُحَّ) على التتالي ونوع الأمر في:(اعلم وفليكن) هو أمر حقيقي وصيغتها الأول بفعل الأمر والثاني بصيغة فعل الأمر المسبوق بلام الأمر التي جزمت الفعل بالسكون؛ لأنه صحيح الآخر، ودلالتها التوصية، ويراد منها الحقيقة لا المجاز أما في الفعلين: (املك، وشح) فهو أمر مجازي يخرج إلى أغراض أخرى ويحتملان معاني ثانية وكانت صيغتها بصيغة فعل الأمر ويدلان على التوصية، فالفعل الأوّل: هو (املك) الذي يعني تملّك الأشياء الظاهريّة الملموسة كالنقود ويستعمل هنا بمعنى مجازي يعني: القدرة على ضبط النفس وهو ما استعمل في النص، وقد اختلف معنى الأمر من الحقيقة تملك الأشياء الى حبس النفس.

أما الفعل الثاني: شِح من شحَ يشح شحًا والشح بالنفس يختلف دلاليًا عن الشح بالأشياء؛لأنّ الأول يتطلب ضوابط أصعب من الثاني فهو يقتضي عصمة النفس عن الطمع ولزمها طاعة العقل البشري فالأول يعني مسك النفس البشرية والثاني يعني البخل وفي قوله عليه السلام: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط[٦] منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك[٧] أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله[٨] فإنه لا يدي لك بنقمته[٩]، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته [١٠])).

وقد تضمّن النص المتقدم صيغتي الأمر الحقيقي (أشعر، وأعطهم) فالأول أسند الى ضمير مستتر والآخر مفعوله ضمير متصل يعود على الرعية وكلا الفعلين بصيغة فعل الأمر المبني على السكون، وهما يدلان على التوصية والرأفة التي يجب أن يكون عليها الوالي.

الأمر الحقيقي والمجازي:

ومنه قوله عليه السلام: ((وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أُبَهَةٌ[١١] أو مَخِيلةٌ[١٢] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن[١٣] إليك من طماحك[١٤]، ويكف عنك من غَرْبِك[١٥]، ويفيء إليك[١٦] بما عزب[١٧] عنك من عقلك إياك ومساماة[١٨] الله في عظمته والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى[١٩] من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض[٢٠] حجته وكان لله حربًا[٢١] حتى ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم،

فـإن الله سـميع دعـوة المضطهديـن وهـو للظالمـين بالمرصـاد))[٢٢]، فقـد وردت في هـذا النـص أربـع صيـغ للأمـر ثـلاث منهـا بصيغـة فعـل الأمـر وهـي عـلى التتـالي: (انظـر، أنصف لمرتـين، صيغـة التحذير إيـاك) ثـلاث منها تمثل الأمـر الحقيقـي وواحدة تمثل الأمـر المجـازي[٢٣] والصيغـة المجازية تكمـن في قوله (أنصـف الله): فالإنصـاف لا يـراد منـه إعطـاء الحـق المـادي كـما هـو في التركيـب الـذي سـبقه إنـما يحتمل وجهـين: الأول هـو طاعة الله تعالى والالتـزام بكتابه.

والوجـه الآخـر: يحتمـل إنصـاف فقـراء الله مـن بـاب حـذف المضـاف وإقامـة المضـاف إليـه لوجـود القرينـة وهـو مجاز عقـلي فحـذف الفقراء وأقـام لفظ الجلالـة لفعالية فعل الأمـر (انصف) الـذي أدى هذا المعنى.

الخلاصة:

اسـتعمل الإمـام عـلي عليه السلام أسـلوب الأمـر بنوعيه: الحقيقـي والمجازي.

إنّ النسـبةَ الأكـبر مـن أنـماط الأمـر المسـتعملة في هـذا العهـد كانـت أنماطـاً حقيقية.

النسـبة الأقـل مـن الأنـماط الفنيـة المسـتعملة هي أنـماط مجازية.

اسـتعمل الإمام علي عليه السلام الأمـر الحقيقي والمجازي لأغـراض رئيسـة هـي النصـح والإرشـاد والموعظـة والوصية.

اسـتعمل الإمـام عـلي عليه السلام في ثـلاث صيـغ هـي: ((صيغـة فعـل الأمـر، وصيغـة أسـماء الأفعـال، وصيغـة الفعـل المضـارع المسـبوق بـلام الأمـر).

غابـت صيغـة فعـل الأمـر النائـب عـن فعلـه في هـذا العهد ويـرى الباحث: أن السـبب في غياب هذه الصيغـة هـو الحاجـة الى التصريـح أكثـر مـن التلميح للـضرورة القصـوى والظـروف التـي كانـت تحيـط بالدولة.

توزّعـت صيغ الأمر على الألفاظ الآتية:

صيغـة فعـل الأمـر وتـرددت في سـبعة عـشر موضعًـا.

اسـم فعـل الأمـر (عليـك) وتكـررت في تسـعة مواضـع.

لفظة (إياك) وتردّدت ثماني مرات.

الفعـل المضـارع المسـبوق بالفـاء ولام الأمـر (فليكـن) وتـرددت سـبع مـرات.

---

١. عبد العزيز عتيق علم المعاني: ٧٠.
٢. أحمـد مطلـوب أحمـد النـاصري الصيـادي الرفاعـي، أسـاليب بلاغيـة، (الفصاحـة - البلاغـة - المعـاني): ٢٧٣.
٣. ينظـر: لسـان العـرب: محمـد بـن مكـرم بـن عـلي، أبو الفضـل، جمال الدين ابـن منظور الأنصـاري الرويفعى الإفريقـى (ت ٧١١هـ)،الحـواشي: لليازجـي وجماعـة مـن اللغويـين، منشـورات: دار صـادر - بـيروت، الطبعـة: الثالثـة - ١٤١٤ هــ عدد الأجـزاء: ١٥، مادة (أمر).
٤. مالـك الأشـتر بـن الحـارث بن عبـد يغوث بن مسـلمة بـن ربيعـة بـن الحـارث بـن خزيمة بن سـعد بـن مالك بـن النخـع كان بأصبهـان أيام عـلي بن أبي طالـب، فيما ذكـر عـن عمـير بـن سـعيد، قال: دخلت على الأشـتر بأصبهـان في أنـاس مـن الجمـع نعـوده. مات مسـموما بالقلـزم سـنة سـبع وثلاثين، أبـو نعيم أحمد بـن عبد الله بـن أحمد بن إسـحاق بن موسى بن مهـران الأصبهاني، تاريـخ أصبهـان (أخبار أصبهـان): ٢، ٢/ ٢٩١.
٥. عهـد الامـام عـلي بـن أبي طالـب لمالـك الأشـتر (وثيقة اسـلامية ذات أبعـاد قانونيـة، سياسـية، اجتماعيـة، اداريـة، اقتصاديـة، عسـكرية): ١٥.
٦. يفرط: يسبق، ينظر: لسان العرب، فرط.

٧. استكفاك: أي طلب منك كفاية أمرك والقيام بتدبير مصالحهم، ينظر: لسان العرب، (كفى)
٨. حرب الله: كناية عن صفة الظلم والجور ومخالفة شريعة الله عز وجل
٩. لا يد لك: أي لاحول لك ولا قوة مقارنة بحول الله وقوته، (كناية عن صفة الضعف).
١٠. عهد الامام علي: (١٦ – ١٧).
١١. الأبّهة: العظمة والكبرياء، ينظر: المعجم الوسيط: ابراهيم مصطفى وابراهيم أنيس وآخرون، تحقيق / مجمع اللغة العربية في القاهرة (ج.م. ع)، عدد الأجزاء / ٢.، (كبر)
١٢. المَخِيلة: الخيلاء والعجب.
١٣. يطامن: أي يخفض منه، ينظر: لسان العرب، (خفض).
١٤. طماح: على زنة فِعال، وهي مصدر بمعنى النشوز والجماع، ينظر: المصدر نفسه، (نشز).
١٥. الغَرْب: أي الحدّة.، ينظر: المعجم الوسيط، (غ، ر، ب)

١٦. يفيء: أي يعود الى رشده كقوله: ((حتى تفيء الى أمر الله))، ينظر: لسان العرب (عود).
١٧. عزب: غلب، ينظر: لسان العرب، (غلب).
١٨. المساماة: التنافس في السمو وهي مصدر ميمي من الفعل الثلاثي سما، يسمو، سموًا، ومساماة، ينظر: المصدر نفسه (سما).
١٩. أي تميل اليه، ينظر: لسان العرب، (ميل).
٢٠. أدحض: أي أبطل، ينظر: لسان العرب، (دحض).
٢١. من باب ذكر المصدر وإرادة اسم الفاعل أي محاربا وهو مجاز عقلي، ينظر: مفتاح العلوم:، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، منشورات: دار العلم للملايين -بيروت،ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ٢٣٧.
٢٢. عهد الإمام علي: (١٨ – ١٩).
٢٣. محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ٨٢.

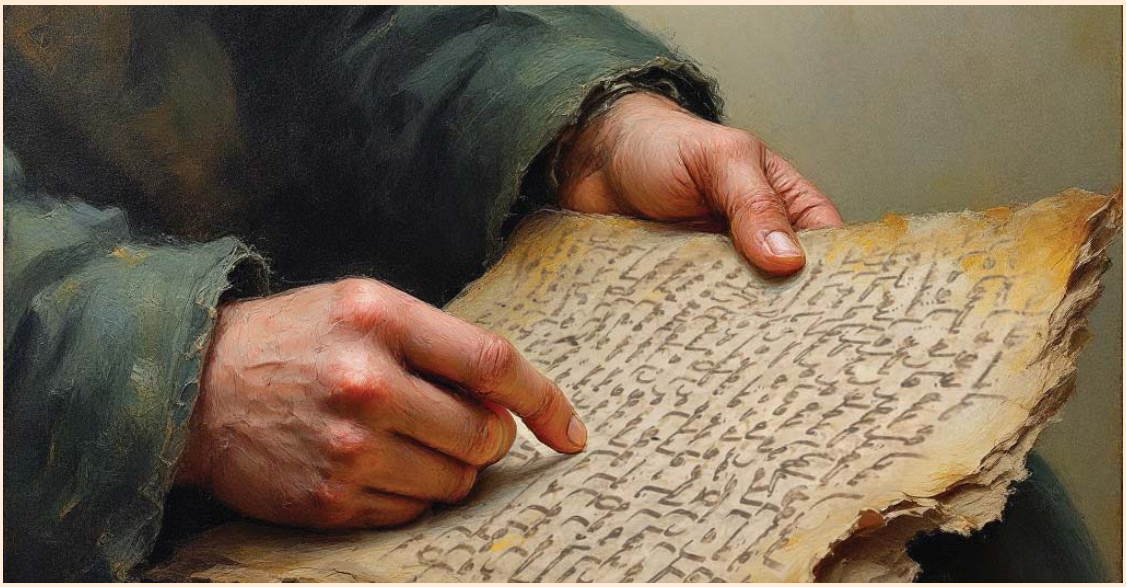

لا ترمْ وصفَـهُ
ففيـهِ معـانٍ..

الشيخ كاظم الأزري

أسـدُ اللهِ مـا رأتْ مقلتـاهُ ... نـارَ حـربٍ تَشـبُّ إلا اصطلاهـا

فـارسُ المؤمنيـن في كُلِ حـربٍ ... قُطـبُ مِحرابِهـا إمـامُ وغاهـا

لم يَخـضْ في الهيـاجِ إلا وأبـدى ... عزمـةً يَتَقـي الـردى إياهـا

ذاكَ قُمقامُهـا الـذي لا يَـروّي ... غـير صِمصامِـهِ أوام صَداهـا

وبِـهِ اسـتفتحَ الهـدى يـوم (بـدرٍ) ... مـن طغـاةٍ أبـتْ سـوى طَغواهـا

صـبَّ صـوبَ الـردى عليهـم هُمـامٌ ... ليـسَ يخشـى عُقبـى التـي سـوّاها

يـومَ جـاءت وفي القلـوبِ غليـلٌ ... فسـقاها حُسـامُهُ مـا سَـقاها

هـذه مـن عُـلاهُ إحـدى المَعـالي ... وعـلى هـذِهِ فقِـسْ مـا سِـواها

لا تـرمْ وصفَـهُ ففيـهِ معـانٍ ... لم يصفهـا إلا الـذي سَـواها

ولـه يـومَ (خيـبرٍ) فتكـاتٌ ... كـبرتْ منظـراً علـى مـن رآهـا

يـوم قـال النبـي إني لأعطـي ... رايتـي ليثَهـا و حامـي حماهـا

فاسـتطالت أعنـاقُ كلُّ فريـقٍ ... ليـروا أي ماجـدٍ يُعطاهـا

فدعـا أيـن وارث العلـم والحلـمِ ... مجـير الايـام مـن بأسـاها

فأتاه الوصـي أرمَـدَ عيـنٍ ... فسقـاهُ مـن ريقـه فشـفاها

ومـضى يطلـب الصفـوف فولّـتْ ... عنـهُ علـماً بأنـه أمضاهـا

ودحـا بابهـا بقـوة بـأسٍ ... لـو حمتهـا الأفـلاك منِـهِ دحاهـا

أيهـا الراكـبُ المُجِـدُّ رويـداً ... بقلـوبٍ تقلّبـتْ في جواهـا

إن تـراءتْ أرض الغريـين فاخضـعْ ... واخلـعْ النعـل دون وادي طِواهـا

واذا شمـتَ قُبـةَ العـالم الأعلـى ... وأنـوارُ ربّهـا تغشـاها

فتواضـعْ فَثَـمّ دارةَ قُـدسٍ ... تتمنـى الافـلاكُ لَثـمَ ثَراهـا

يـا أبـا النّيريـن أنـت سـماءٌ ... قـد محـا كلَّ ظلمـةٍ قَمَراهـا

لم يـزل بانتظـارك الديـن حتـى ... جَـرَدتْ كـفُ عزمتيـكَ ظُباهـا

فجعلـتَ الرشـادَ فـوق الثريّـا ... ومقـامَ الضـلالِ تَحـتَ ثراهـا

إنـما البـأسُ والتُقـى والعَطايـا ... حلبـاتٌ بَلغـتَ أقـصى مَداهـا

مصطلحات أدبية

- **الأداء اللفظي**: أسلوب الحديث والكتابة كما ينعكس ذلك في اختيار الكلمات واستعمالها ويشير المصطلح الى اختيار الكلمات وترتيبها في عبارات أو تقريرات وإلى الدقة والتوكيد والوضوح المتميز التي ترد به في الكلام والخطابة.
- **أداة النقل**: توسّع الأدب في استعمال كلمة اداة نقل لتوحي بالوسيلة التي ينجز بها الأديب أغراضه فيقال إنّ الأديب استعمل الشعر والنثر أداة ناقلة أو اختار السخرية أو الفكاهة أو ما شاء أداة ناقلة.
- **الأدب**: كتابات من ملامحها الجوهرية أن يكون فيها التعبير والشكل لهما صلة وثيقة بمعانٍ ومناحٍ ذات دلالات شاملة ودائمة وتطلق كلمة أدب دون دقة أو صواب في أغلب الأحوال على أي نوع من المواد المطبوعة مثل الكتيبات والبيانات والمنشورات ولكن المصطلح الصحيح يقتصر على النثر الفني والشعر الذي تحكمه معايير الامتياز عن الكلام العادي وقيمة الأدب تكمن في تعبيره ذي الكثافة الخاصة المرهفة عن حياة في معانيها المتباينة وتأتي الحياة قبل الأدب كما تأتي مواد أي عمل قبل العمل نفسه.

ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الادبية: ١١.

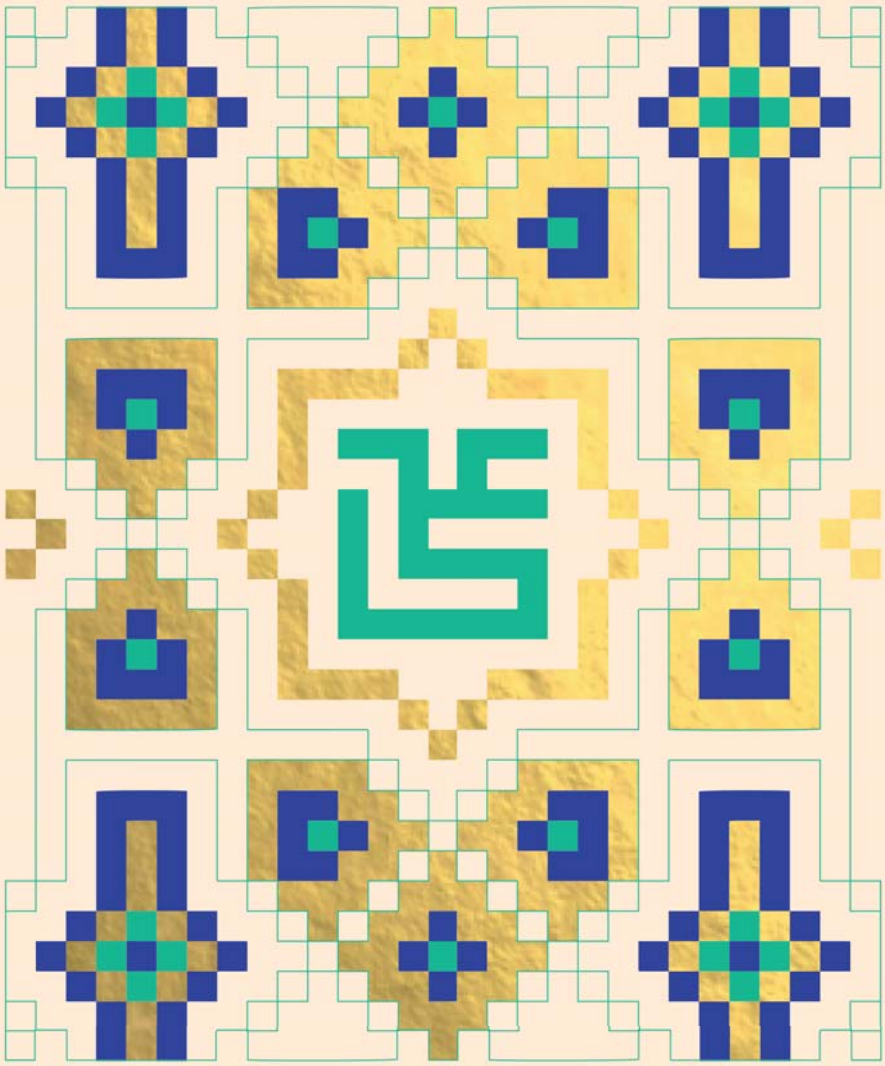

يراع العلمـــاء

- علمـاء في القــارة السمـــراء
  الشـيخ إبراهيـــم الزكـــزكي
  وحركـة التشـيّع في نيجيريـا

علماء في القارة السمراء

الشيخ إبراهيم الزكزكي وحركة التشيّع في نيجيريا

د. ابراهيم المعظم
نيجيريا

مقدمة تأريخية:

وصل الإسلام إلى أرض نيجيريا في وقت مبكر من التاريخ؛ ويمكن حصر الذين نشروا الإسلام في نيجيريا على صنفين رئيسين:

١- التجار المتجولون الذين ينقلون البضائع والسلع التجارية من مكان إلى آخر.

٢-الدعاة الصوفيون الذين جمعوا بين نشر الإسلام ونشر محاسن الصوفية وطرقها.

على ما تقدّم فإنّ الطرق الصوفية هي التي تحتل المرتبة الأولى من بين المؤسسات الدينية في نيجيريا؛ وذلك لأن الإسلام وصل نيجيريا وانتشر على أكتاف شيوخ من الطرق الصوفية، من بينها:

-الطريقة التجانية، وقد نُشرت على يد الحاج عمر الفوتي الذي ولد ١٧٩٨م وقد اتصل بالسلطان محمد بللو بن عثمان في (سوكوتو) وساعده على نشر هذه الطريقة، وقبل ذلك قد ظهرت طرق صوفية متعددة في مملكة (بورنو) وبعدها في بلاد (الهوسا) ومن ثم بلاد (يوربا) في جنوب نيجيريا، ومن أبرز هذه الطرق الصوفية: القادرية والسنوسية التي انتشرت في مملكة (كانم بورنو) وجزء كبير من بلاد (تشاد).

ومما يلاحظ أنَّ هذه الطرق الصوفية هي التي كوّنت اللبنات الأولية في ظهور ما يسمى بظاهرة المؤسسات الدينية في تأريخ نيجيريا الحديث [١].

جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة- التأسيس والتأطير

جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة (Jamatu Izalatil Bid'ah Wa Iqatis Sunnah - JIBWIS) حركة دينية إسلامية في نيجيريا تنتمي إلى السلفية أسست في عام ١٩٧٨م لهدف بث التعليمات الدينية الصحيحة وإزالة ما يبدو في نظرها بدعة في الدين الإسلامي، تتخذ الجماعة مقرًا في مدينة (جوس وكادونا)، تحت إدارة عبد الله بلا لو رئيسًا إداريًا محمد ثاني يحيى جنغر رئيسًا لمجلس العلماء، حصلت نزاعات داخلية شديدة في المنظمة بعد موت رئيسها الأول والمؤسس لها الشيخ إسماعيل إدريس زكريا والتي أدت إلى انقسام الجماعة إلى قسمين مع المنافسة بينهما على الإدارة والأتباع، لجماعة إزالة البدعة وإقامة السنة نشاطات متعددة على الصعيد الديني والاجتماعي داخل نيجيريا والبلدان المجاورة مثل النيجر والكاميرون وتشاد [٢].

ومما يبدو أنَّ الشيخ أبوبكر محمود غومي قد قام بدورٍ بارزٍ في نشر أفكار هذه الجماعة، وذلك بفضل الموقع الاجتماعي والسياسي الذي كان يتمتع به الشيخ آنذاك، فقد عُين مساعدًا لرئيس القضاء في محكمة الاستئناف الشرعية العليا ثم أصبح رئيسًا للقضاء في الإقليم الشمالي من نيجيريا، وفي عام ١٩٧٦م عُين مفتي البلاد الأكبر، وكان عضوًا في المجلس الأعلى العالمي لشؤون المساجد والمجمع الفقهي في مكة، ومجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، والمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضوًا مؤسسًا لرابطة العالم الإسلامي، ومجلس كبار العلماء في نيجيريا، وآخر منصب له رئيس مجلس مركز التعليم التربوي في نيجيريا [٣].

الشيخ الزكزكي سيرته وآثاره:

ولد الشيخ إبراهيم بن يعقوب الزكزكي في ٥ مايو ١٩٥٣م، (الموافق ١٥ شعبان ١٣٧٢هج) في مدينة (زاريا) بولاية (كادونا)، ويلقب بالزكزكي نسبة إلى مدينة زكزك النيجيرية [٤]، ينتمي الزكزكي لأسرة مسلمة سنية وأصولها العرقية ترجع إلى جمهورية مالي الحالية، حيث رحل أجداده إلى نيجيريا أوائل القرن التاسع عشر الميلادي للالتحاق بدولة الزعيم الديني عثمان بن فودي (١٧٥٤-١٨١٨م) [٥].

وقد نشأ الشيخ في مسقط رأسه في مدينة (زاريا) إذ درس في مدارس أولية إسلامية فحفظ القرآن الكريم وتلقى على أيدي بعض مشايخها (مثل عيسى مداكا وإبراهيم ككاكي) بعض العلوم العربية والإسلامية، حيث درس الدراسات العربية والإسلامية [٦].

التحق الزكزكي بمدرسة إسلامية في مدينة (زاريا)

في (١٩٦٩-١٩٧٠م) وبعد إكماله برنامجها التعليمي دخل كلية الدراسات العربية في مدينة (كانو) شمال نيجيريا خلال (١٩٧١-١٩٧٦م).

ثم انتقل إلى جامعة أحمد (بللو) في (زاريا) حيث درس الاقتصاد ونال شهادة البكالوريوس عام ١٩٧٩ ولكن إدارة الجامعة لم تسلمه شهادته بسبب رفضه أداء الخدمة الوطنية الإجبارية التي يؤديها الخريجون! وينقل عنه أنّ السبب الأساس في منعه الشهادة الجامعية هو أنشطته الدينية التي كانت تستفز إدارة الجامعة [٧].

مؤلفات الشيخ الزكزكي:

للشيخ مؤلفات متعددة في مختلف المجالات المعرفية والثقافية، ويلاحظ بأن أغلب تلك المؤلفات عبارة عن مجموعة من المحاضرات وبلغة (الهوسا)، تم تدوينها بوساطة تلامذته، وكان مالم آدم أدماوا من أكبر تلامذته والمدونين له، وقد نقل الباحث مختارات مما جمعه فيما يلي:

١- واقعة عاشوراء ٢-شرح خطبة الغدير ٣-رسالة الغدير٤-تأريخ السيدة فاطمة الزهراء ٥-دروس من عاشوراء٦-من مراحل الحياة ٧-رسول الله.. ٨-القدوة ٩-من مقاصد الدعوة.

أثر الشيخ الزكزكي في نشر التشيع في نيجيريا:

يمكن القول إنَّ حركة التشيع قد وجدت طريقها إلى الظهور في نيجيريا وغرب إفريقيا على يد زعيم الحركة الإسلامية بنيجيريا: الشيخ إبراهيم الزكزكي الذي اتصل برجال الدين في قم مباشرة بعد الثورة الإسلامية في إيران حيث قدّم رجال الدين في الحوزة العلمية الدعم الديني والثقافي له [٨].

والحركة الإسلامية في نيجيريا هي حركة شيعية يقودها الشيخ إبراهيم زكزكي ومقر قيادته في نيجيريا مدينة (زاريا)، تعمل الحركة مجموعة من الأنشطة الاجتماعية والتعليمية للشيعة في نيجيريا منذ سنة ١٩٨٤م.

ويلاحظ أنّ الحركة الإسلامية هي الحجر الأساس في ظهور المذهب الشيعي بنيجيريا.. حيث تدفّقت وفود بعد وفود من أعضاء هذه الحركة إلى إيران والعراق ولبنان وسوريا للدراسة، وبعد ذلك بقليل رجع هؤلاء الطلبة من الرعيل الأول إلى بلادهم لنشر تعاليم الإسلام وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فأخذت الطائفة في توسع ملحوظ في مدة قصيرة، ولا يزال اليوم الشيخ الزكزكي وجماعته هم الغالبية العظمى في الميدان، وحتى في الحوزات العلمية الشيعية فإنهم يحتلون موقع الصدارة في الساحة [٩].

ولا يخفى ان تاريخ التشيع مرتبط بالمرجعية العليا في النجف الأشرف حيث كان الشباب المستبصر يحصل على مؤلفات ونشرات المرجعية العليا التي تصل من المؤسسات الدينية والثقافية التابعة للمرجعية، وقد زاد الأمر اهتماما عندما بدأت ظاهرة الوفود العلمية تتقاطر من مختلف البلدان الإفريقية للدراسة في حوزات النجف وكربلاء..ولذا فإن أكثر المسلمين الشيعة في دول غرب إفريقيا وبالتحديد في جمهورية نيجيريا الاتحادية يقلد المرجعية العليا ويرجع إليها في الفتوى، وما زالت هذه المرجعية التاريخية العظيمة تمتد وتمد بالعطاء الفكري والثقافي في القارة السمراء وإن لها الفضل الكبير في نشر التشيع الوطني المعتدل في ربوع الأراضي الإفريقية.

---

(١) الشيخ آدم عبد الله إلوري، الإسلام في نيجيريا: ٧٩.
(٢) الدكتور علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا: ١٢٤.
(٣) ظ: جائزة الملك فيصل ودلالتها الحضارية: ٧٧.
(٤) ظ: موقع الجزيرة على الإنترنت بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٤.
(٥) تاريخ مسجل في إحدى محاضرات الشيخ
(٦) صفحة الجزيرة على الإنترنت، تاريخ الاطلاع ١٠ مايو ٢٠٢٤
(٧) من تسجيلات الشيخ في إحدى محاضراته سنة ١٩٩٥م
(٨) الشيخ آدم عبد الله إلوري، الإسلام في نيجيريا، ط٣ سنة الطبع ١٩٧٨م
(٩) الدكتور علي أبوبكر، الثقافة العربية في نيجيريا: ١٤٦.

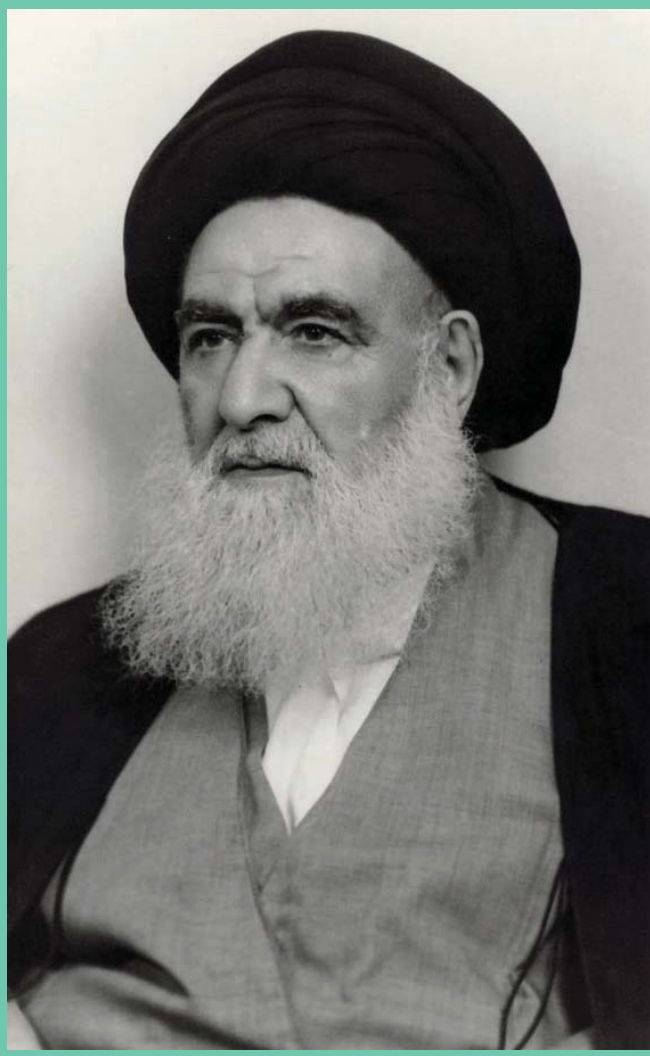

بينَ التلميذِ والأستـــاذ

أحمد الحلي

كتَبَ المحقّق آية الله السيّد محمّد مهديّ الخرسان (قدس سره) عن خبر وفاة أستاذه المرجع الأعلى السيّد الخوئيّ (قدس سره)، في كتاب (عليّ إمام البررة) (٢/ ١٣٩) الذي هو شرح لأرجوزة أستاذه ما نصّه: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نزل القضاء فلبّى النداء سيّدنا الأستاذ الناظم رحمه الله تعالى بعد الظهر في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٤١٣هـ، وأسلمتْ روحه المقدّسة إلى بارئها آمنة مطمئنة، وناعيها يتلو قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

وكان عمره الشريف (٩٦) عامًا، قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه، ولـمّا أُخبرتُ بوفاته بادرت مسرعًا أداءً لحقِّ أبوّته العلميّة، وقمتُ بما أمكنني القيام به، حتى

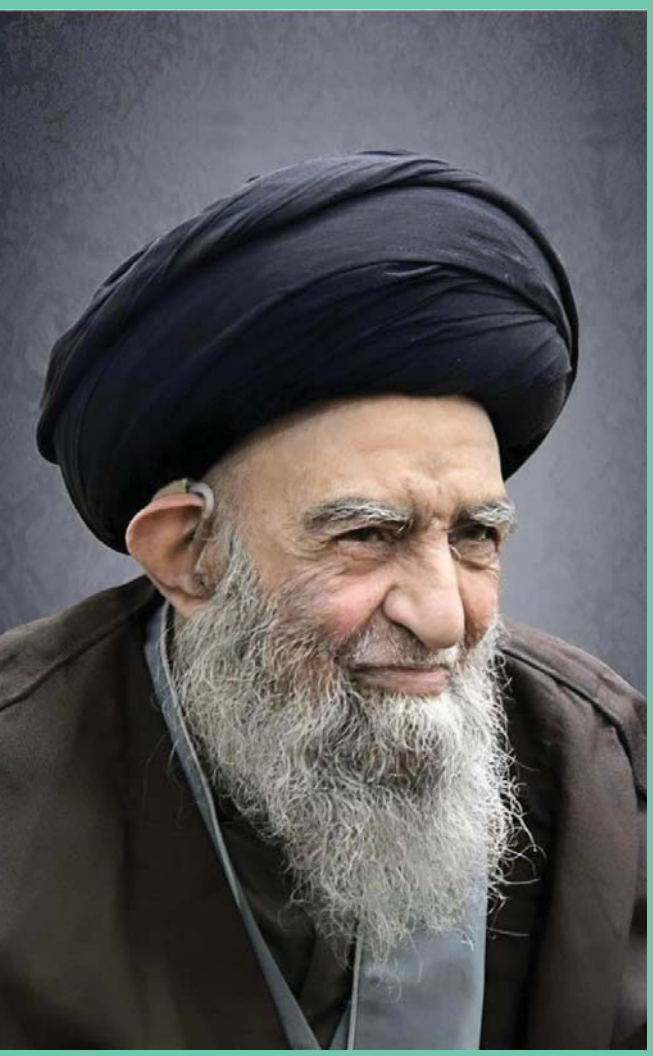

أنّي جهّزته بما أعددته لنفسي من الكفن ومستلزماته، وكنت قد كتبتُ عليه دعاء الجوشن الكبير، كما ورد في بعض مستحبّاته، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنّته، وألهمنا الصبر بمصيبته، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال كاتب السطور (أحمد الحلي): وقصّة ذلك كما رواه لي ثلاثة من الأعزّاء:

ذكر المحقّق آية الله السيّد محمّد مهديّ الخرسان أنّه في يوم من الأيّام التقى أستاذه آية الله العظمى السيّد الخوئيّ (قدس سره)، وقال له: أريد منك أن تُعطيني مبلغًا من المال، استجارةً لعبادةٍ مستحبّة، غير مجهدة وواجبة، كالصلاة والصيام، أريد منك مثلًا زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) نيابة؛ وذلك لأشتري بمبلغها كفنًا من تعب يدي، فتأمّل السيّد الخوئيّ مليًا، وقال له: الآن غير موجود عندي ذلك، إذا كنتَ تريد من الحقوق فأعطيك ما تريد، فقال له: لا أريد من الحقوق شيئًا.

وتمّ توفير مبلغ الإجارة للزيارة من غير طريق، واشترى كفنًا بمبلغ الإجارة، وبدأ بكتابة دعاء الجوشن الكبير عليه، بالزعفران، وبخطٍّ يده، وهذا شيء متعبٌ ومكلفٌ، ويحتاج إلى وقتٍ طويل، وأنجزه بحمد الله تعالى، وادّخره لنفسه.

ويروي السيد الخرسان:

وفي يومٍ من الأيّام كنت جالسًا في البيت، فطرق المرحوم الشّيخ شريف كاشف الغطاء (رحمه الله) الباب عليّ في الساعة الثالثة عصرًا، وذكر أنّ السيّد الخوئيّ (قدس سره) قد توفي، فذهبتُ وولدي السيّد محمّد صالح وكاشف الغطاء لبيته، وانشغل من حوله بتغسيله، وعلى رأسهم المرحوم السيّد جابر الحسينيّ (رحمه الله)، وأنهوا غُسله، فطلبوا كفنه، فلم يجدوه حينها، وذلك لانشغالهم بمصيبة فقده فالخطب عظيم، فقلت لهم: أنا عندي كفني، أعطيكم إيّاه، وأرسلتُ ولدي السيّد محمّد صالح؛ ليجلب كفني، وهو في (بقجة) مع لوازمه من عقيق وغيره، وكانت العقيقة بخاتم من فضّة، وقاعدته موجودة إلى يومك هذا، فجاء ولدي بالكفن، وكُفّن به السيّد الأستاذ قدّس الله سرّه.

فما فائدة كتبي؟

لقـد كان ديـــــدنُ المراجـع والعلـماء مـن مدرســة أهـــل البيـت عليهم السلام وعـلى طـوال التاريـخ هـو نـشر العلـم بمختلـف الوسـائل والأسـاليب الممكنـة، والارتقـاء بمسـتوى المجتمـع نحـو الأفضـل والأحسـن، يقـول السـيد موسـى الصـدر: ((إنَّ المرحـوم شرف الديـن بعـد أنْ ألّـف كل تلـك الكتـب القيمـة في تعريـف الشـيعة وأهـل البيـت عليهم السلام، التفـت إلى حـال الشـيعة في لبنـان، فـرأى أنهـم مـن أفقـر النـاس، ومـن أجهلهـم، وأحطهـم شـأنًا، ليـس فيهـم طبيـب أو مهنـدس، وإذا وجـد فأعـداد ضئيلـة، بـل أكثرهـم مـن الحمّالـين والعـمّال والكنّاسـين، فقـال في نفسـه، إذا كان هـذه هـي حالنـا فـما فائـدة كتبـي؟ سـيقول النـاس لـو كان التشـيع حسـنًا ومنجيًـا، لـكان للشـيعة حـال أفضـل، وكان هـذا سـبب انصرافـه إلى النشـاطات العلميـة فعمـد إلى تأسـيس المـدارس، ومعاهـد التعليـم، والجمعيـات الخيريـة، حتـى اسـتطاع أخـيرًا إيجـاد نهضـة وحركـة مقدّسـة رفعـت المجتمـع الشـيعي في لبنـان إلى حـال أفضـل)) (مرتـضى المطهـري، محـاضرات في الديـن والاجتـماع: ٢٠٥)

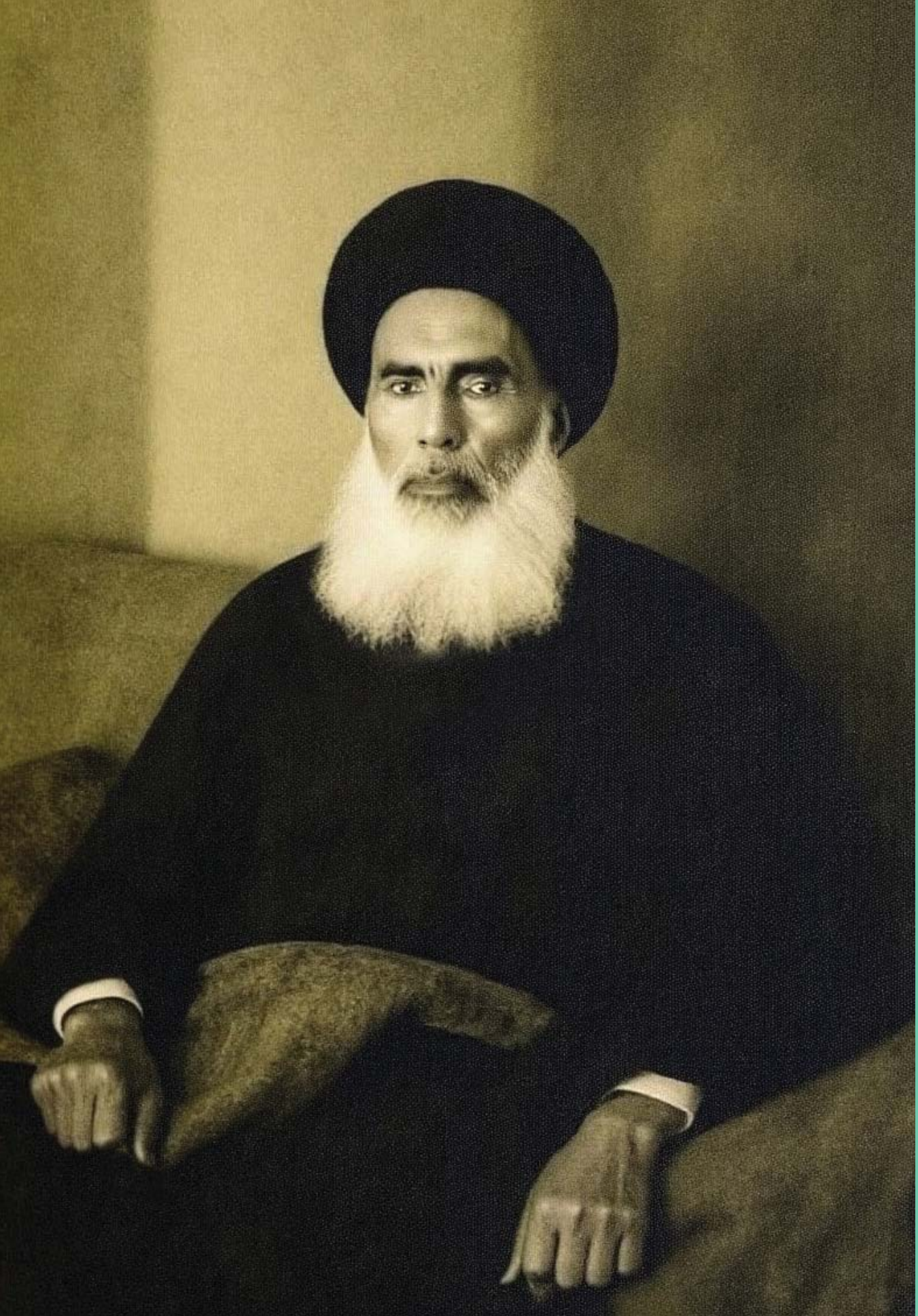

حـوار ثقـافي

- حوار مع الأستاذ المتمرس
  الدكتور محمد كاظم جاسم البكـّاء

حاوره: هاشم محمد الباججي

في حوارهِ مع مجلـة الولاية

الأستاذ المتمرس **الدكتور محمد كاظم جاسم البكـــــــاء:**

يُعد القرآن الكريم الباعث الديني والسبب في تأليف النحو العربي؛ يدلّ عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي ينسب إليه وضع النحو العربي والدعوة لحفظ اللغة.

حاوره : هاشم محمد الباجي

في رحلـة العلـم والمعرفـة، يـضيء الدرب، علمـاء وأسـاتذة نـذروا أنفسـهم للسـير في طريـق العلـم النافـع الـذي يوصلهـم إلى الهـدف الأسـمى في خدمـة الديـن والمجتمع،ومـن ثـم رضوان مـن الله أكبر، فالعلمـاء نـبراسٌ مـضيء، يُمثـل عطاءهم اللامحـدود وجهودهـم الجبـارة في البحـث والتقـصي للوصـول إلى ماهيـة العلـم ومعرفته، وفتـح آفاق جديدة مـن المعرفة، ومـن هـؤلاء الأسـاتذة الذي اختـص بعلوم القـرآن واللغـة العربيـة فكانت لـه نظريته الخاصـة في القـرآن، وآراؤه المعتـبرة في اللغة العربيـة البرفسـور محمد كاظم البـكاء الذي كان لنـا معـه هـذا اللقاء:

السيرة الذاتية المختصرة للدكتور البكاء؟

محمد كاظم البكاء من مواليد النجف الأشرف عام ١٩٤٢م، حصلت على الدبلوم التربوي من معهد المعلمين عام ١٩٥٩م وتعيّنت معلمًا في نفس السنة، وحصلت على البكالوريوس لغة عربية والعلوم الإسلامية – كلية الفقه / الجامعة المستنصرية عام ١٩٦٨، وحصلت على الماجستير من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٨م، ومن جامعة بغداد سنة ١٩٨٠م، ثم حصلت على الدكتوراه فلسفة لغة عربية / جامعة بغداد عن الأطروحة الموسومة (منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي) في سنة ١٩٨٥م

ما أبرز المناصب العلمية التي تقلدتموها؟

نبدأ من التعليم العام ١٩٥٩- ١٩٦٧ م، حيث كنت معلمًا ومديرًا في المدارس الابتدائية، ثم مدرسًا ومديرًا في المدارس الإعدادية والثانوية، وفي التعليم الجامعي الذي بدأ منذ ١٩٦٨م، حيث عملت معيداً في كلية العلوم الإسلامية (الخريج الأوّل بدرجة امتياز – ١٩٦٨)، وعضو هيئة تدريسية (الماجستير) – جامعة الكوفة، وعضو هيئة تدريسية (أستاذ مساعد، أستاذ): جامعة الكوفة – جامعـة بغداد، واستاذًا في جامعات خارج العراق.

وقد شغلتْ عددًا من الوظائف الإدارية منها متدرِّب في مركز تطوير الكوادر العليا / مدير عام في بغداد، مدير دار المعلمين الابتدائية في النجف (معهد المعلمين)، معاون مديرعام تربية النجف الأشرف، مدير عام تربية النجف الأشرف، عميد كلية العلوم الإسلامية جامعة الكوفة (وكالة)، عميد كلية الآداب – جامعة الكوفة (وكالة)، ورئيس قسم علوم القرآن الكريم والحديث الشريف / كلية الفقه – جامعة الكوفة، ورئيس لجنة تأسيس (جامعة جابر بن حيّان) في النجف الأشرف، وأعدتُ تأسيس (كلية الفقه الجامعة) مع الدكتور محمود المظفر.

ما أهم الجامعات التي عملتم بها؟

بفضل الله تعالى عملت في العديد من الجامعات داخل العراق وخارجه منها جامعة الكوفة – جامعـة بغداد – جامعـــة صنعاء (اليمن) – جامعة مؤتة (الأردن) – كلية التربية في جامعة صحار (سلطنـــة عمان).

ما أبرز المؤسسات والمراكز والجمعيات العلمية المحلية والدولية التي عملتم بها؟

عملت في العديد من المراكز والمؤسسات منها، المركز القومي للحاسبات الإلكترونية في بغداد / ١٩٩١م كخبـير لغوي في البرمجيات، ومركز الحاسوب المسؤول عن إنتاج برامج الحاسوب لوزارة التربية العراقية، ومستشار لغوي في الجمعية العلمية الملكية في مشروع الترجمة الآلية (الأردن(UNL، عضو شرف في مجمع اللغة العربية الأردن، وعضو جمعية اللسان العربي الدولية – اصفهان.

ما عدد مؤلفاتكم، وأهمها؟

لدي عددٌ من المؤلفات والبحوث المطبوعة وعددٌ لم تطبع بعد، ومن أبرز الكتب التي طُبِعتْ هي:

– منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي.

– كتاب سيبويه (تصنيف منهجي وتحقيق علمي) في ستة مجلدات.

– نظرية الحس الصوتي لتعليم النحو العربي – نشره معهد مخطوطات جامعة الدول العربية،٢٠١٩

– القرآن الكريم – تصنيف موضوعي على وفق نظرية النص – منشورات دار زين الحقوقية والأدبية – لبنان، ٢٠١٩

– المعاني القرآنية في نهج البلاغة، ثلاثة أجزاء، مركز أمير المؤمنين للدراسات التخصصية في النجف الأشرف ٢٠٢٢.

– مختصر كتاب سيبويه، معهد مخطوطات جامعة الدول العربية ٢٠٢٠

- المدخل النحوي لنظرية الإعجاز القرآني عند عبد القاهر الجرجاني ٢٠٢١
- تفسير الآيات المتشابهات وردّ الشبهات، دار لندن للطباعة والنشر، ٢٠٢٣
- شرح البكّاء على ألفية ابن مالك في ضوء كتاب سيبويه، دار زين الحقوقية، ٢٠٢٣
- المعجم الصوتي - أوّل معجم صوتي في اللغة العربية.

ما نظرية النص في القرآن الكريم التي تقول بها؟

نظرية النص: هي نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، وأطلق المحدثون عليها الاسم وهم لا يدرون بها (نظرية النص)، وعندئذ أسميتها نظرية النص مقتبسا الاسم فقط، إذ كان إمام البيان العربي يقول مثلا: فانظر قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [هود: ٤٤]﴾ فهو رحمه الله تعالى لا يقولَ مصطلح (النص) وقد استعرته لنظريته.

وقد تدبّرت القرآن الكريم بتمامه، وجعلته في نصوص متوالية، فمثلا: سورة الفاتحة (نص الفاتحة) وقد اتضحّ لنا أن جميع القرآن الكريم في نصوص متوالية مترابطة، وسورة الفاتحة في ٣٧ سبعة ثلاثين نصًا، ولمعرفة المزيد عن هذه النظرية أرجو أن ينظر كتابنا: القرآن الكريم في تصنيف منهجي وفق نظرية النص، والذي نشرته مكتبة الصادق الثقافية في الحلة.

ما أهمية مؤلفكم كتاب سيبويه في المنهج العلمي؟

يكتسب كتاب سيبويه شهرته أنّه أوّل كتاب في النحو العربي باستيفاء أبوابه وقد سمّاه بعض العلماء (قرآن النحو)، وكان الجرمي يقول: كنت أفتي الناس مذ ثلاثين عامًا من كتاب سيبويه، وقد سمّى كتابه (الفرخ) تعظيمًا لكتاب سيبويه، وقال المبرّد لمن أراد أن يقرأ كتاب سيبويه (هل ركبت البحر) تعظيمًا له،وسمّى كتابه (المقتضب) احترامًا لكتاب سيبويه، وقد شاعت حينئذ مقالة (من أراد أن يؤلف كتابا في النحو بعد سيبويه فليستحي)، ثم إنّ كتاب سيبويه هو لإمام النحاة جميعًا وقد ضمّ علوم العربية كافة، وإنّه الكتاب الفريد الذي اعتمدته الدراسات اللغوية في الغرب؛ فقد ألّف المستشرق كارتر كتاب (الأسس الرئيسة في كتاب سيبويه) وسأتولى بحول الله ترجمته أو ترجمة بعض أبوابه - وقد أهداني نسخة منه باللغة الإنكليزية -، وقد كتب كارتر فقرة (سيبويه) في الموسوعة الإسلامية البريطانية، وقد ذكر مؤلفنا، في تلك الموسوعة وهو رسالة الدكتوراه عام ١٩٨٠(منهج كتاب سيبويه في البحث النحوي)، و كتب غيره من المستشرقين بعض بحوثه عن سيبويه، فقد كتب المستشرق البريطاني بالمي بحثًا عن (نص صعب في كتاب سيبويه) وقد ترجمته ونشرته في (مجلة الضاد) التي كان تصدرها الهيئة العليا للغة العربية بإشراف أستاذنا الراحل أحمد مطلوب الأمين العام للمجمع العلمي في العراق.

ويعدّ مؤلفنا في سيبويه الطبعة السادسة من طبعات الكتاب في العالم، وقد نشر ذلك الأستاذ يوسف السناري من معهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالتعاون مع أحد المستشرقين، وقد أصبح كتاب سيبويه المصدر الرئيس في كتابة البحوث والرسائل الجامعية في الوطن العربي، وقد نشرت (نظرية الحس الصوتي في تعليم النحو العربي) التي استنبطتها من كتاب سيبويه، وقد تناولتها الأقلام بالتعليق في بعض الأقطار العربية ومنها الجزائر؛ فقد كتب عضو الهيئة التدريسية بجامعة ميلة البروفيسور سليم عواريب بحثا قيمًا منشورًا عنها في إحدى المجلات العالمية وغيره، وكان على وزارة التعليم العالي ووزارة التربية في العراق الإفادة من هذه النظرية في تدريس النحو، وقد خاطبت المديرية العامة للمناهج في ذلك.

وأخيرًا باشرت وزارة الثقافة العراقية مشكورة

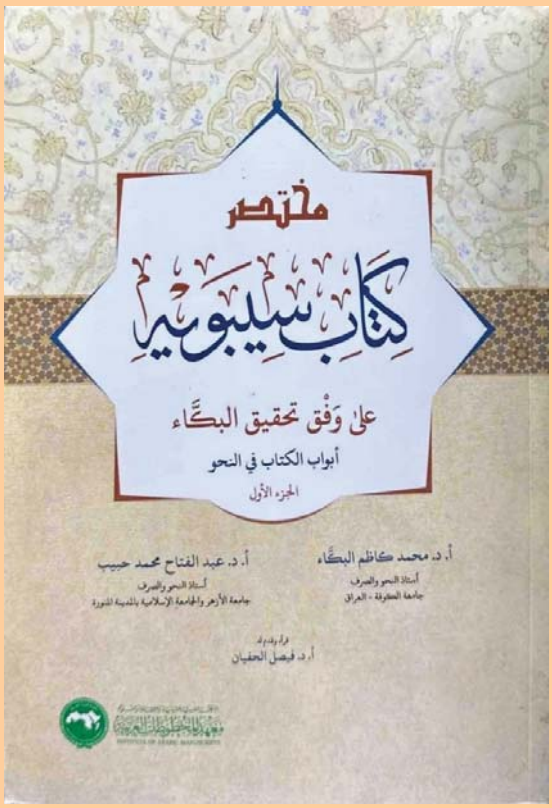

بإعادة طبع كتاب سيبويه بمجلداته الستة بعنوان (كتاب سيبويه – تصنيف منهجي وشرح وتحقيق علمي) وقد أنفقت أكثر من خمسة وعشرين عامًا في تأليفه باعتماد أقدم المخطوطات ومنها أقدم نسخة لكتاب سيبويه في العلم وهي النسخة التي في (الجامع الكبير) بصنعاء، وكان تأليفي في الكتاب برعاية أستاذة الأجيال الراحلة خديجة الحديثي.

باعتقادكم من أول من وضع قواعد اللغة العربية؟

الواضع الأوّل لعلم النحو العربي هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ وصع الباب الأوّل وهو يقسم الكلمة إلى ثلاثة أقسام بالمنطق العقلي على وفق القاعدة المنطقية ؛ فالكلمة العربية إمّا لها معنى أو ليس لها معنى، فالتي ليس لها معنى فهو الحرف والتي لها معنى إمّا أن يكون لها زمن أو لا يكون؛ فالتي لها زمن فهو الفعل والتي ليس لها زمن فهي الاسم...ثم ختم الباب بقوله لكاتبه وقاضيه أبي الأسود الدؤلي: "فانحُ هذا النحو"، وبهذا القول سمّي النحو بهذا الاسم (النحو)، وعندئذ تسقط جميع الأقوال التي نسبت النحو لغيره.

هل نَزل القرآن الكريم حسب قواعد اللغة العربية؟

يُعدّ القرآن الكريم هو الباعث الديني والسبب في تأليف النحو العربي؛ يدلّ عليه أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي ينسب إليه وضع النحو العربي؛ فهو الذي ألّف الباب الأوّل فيه، وتبعه في ذلك كاتبه أبو الأسود الدؤلي في تأليف كتابٍ في النحو يعرّف بـ (التعليقة)؛ إذ جمع الأدوات التي تنصب الأسماء التي تعرف بـ (أخوات إنّ) وقد عرضها على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له "اضف إليها لكنّ"، ثم إنّ الرسول العظيم صلى الله عليه وآله هو أفصح من نطق باللغة العربية بيد أنّه من قريش، وهذا يعني أنّ القرآن الكريم هو الأصل في وضع قواعد النحو العربي التي اجتمعت أبوابه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، فعهد بها إلى تلميذه سيبويه (الزائر الذي لا يملّ)، وقد كان القرآن الكريم المصدر الأوّل في استشهاد النحويين؛ فليس ثمة أدنى ريب في كون القرآن الكريم بني على قواعد اللغة العربية ؛ وإنما وردت بعض القواعد باعتماد بعض اللهجات التي أقرّها القرآن الكريم لأنه نزل بلغة العرب حينئذ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وكذا وردت بعض الألفاظ من اللغات الأخرى مثل (فردوس واستبرق وسندس) وإنما نزل بها القرآن الكريم بعد استعمالها في اللسان العربي.

كيف طعن بعض المستشرقين والمنحرفين في القرآن الكريم سيما في قواعد اللغة؟

إنّ الذين طعنوا في القرآن لم يفهوا قواعد اللغة

العربية فيه وفاتتهم دقة خفاياها وأسرارها؛ فزعموا بوجود أخطاء لغوية في بعض آياته، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، نصب (الصابرين) وهو معطوف على مرفوع (الموفون)، وجوابه أنّ الرفع فيها على الأصل قبل دخول (إنّ)، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]، نصب فيه (المقيمين الصلاة) مع أنه معطوف على مرفوع، وهو (المؤمنون)، والجواب أنّ (الصابرين) نصبت على تقدير (وأخصّ الصابرين) وهو باب واسع في اللغة العربية، وهو النصب على الاختصاص على سمت قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢]، نصب فيه (المقيمين الصلاة) مع أنّه معطوف على مرفوع (المؤتون الزكاة)، وهذا النصب أيضًا على الاختصاص؛ أي: أخص المقيمين الصلاة على سمت قوله تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]يقول الزمخشري:"وأخرج الصَّابِرِينَ منصوبًا على الاختصاص والمدح، إظهارًا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال"؛ [الكشاف ١/ ٢٢٠].

وثمة إجابات غيرها عند النحاة؛ وتلك وجوه من أوجه اللغة حملت الآيات عليه، وهذا الوجه ليس بمشهورٍ، لذلك خَفِيَ على كثيرٍ من الناس، وخاصة هؤلاء الطاعنين في القرآن الكريم، ويرمونه بهذه الافتراءات.

قد قال سيبويه وهو يعرض بعض الشواهد من اختلاف القراءات (القراءة سنّة متبعة)،وثمة إجابات على هذه الإشكالية: منها أنّ القرآن الكريم هو المؤسس الأوّل لقواعد اللغة العربية، وهو الأصل الذي ارتكن عليه علماء اللغة في استنباط هذه القواعد، والاحتجاج لها، كما أنّهم جعلوه قبل الشعر الجاهلي في الاحتجاج به، وتأسيس أحكامها، قال الفراء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]: "والكتاب أعربُ وأقوى في الحجة من الشِّعر"؛ [معاني القرآن ١/ ١٤]، وقال السيوطي: "أما القرآن فكل ما ورد أنّه قُرئ به، فجاز الاحتجاجُ به في العربية، سواء أكان متواترًا، أم آحادًا، أم شاذًّا، وقد أطبق الناسُ على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسًا معلومًا وهذا ما ذكره السيوطي في الاقتراح.

ما تقييمكم اليوم للمستوى العلمي للأكاديميين من الناحية اللغوية ؟

يؤسفني أنّ طلب الكسب المادي أثّر سلبًا في المستوى العلمي؛ فصار الطالب يتعجّل الشهادة للحصول على وظيفة، ومدرس اللغة العربية يسعى للترقية العلمية للفائدة المادية في أكثر الأحوال؛ ونافس التجار المؤسسات العلمية بفتح المدارس والجامعات الأهلية؛ ففقدنا المستوى العلمي الذي كان الجميع يتنافس في الحصول عليه، فلا يصلح هذا المستوى إلّا بما صلح به أوّله بالتوجه العلمي:

لا يصلحُ القوم فوضى لا سـراةَ لهم
ولا سـراةَ إذا جهّالهـم سادوا

ببليوغرافيا العلوم

- مكتبات مهداة إلى مكتبة الروضة الحيدريّة المطهّرة مكتبة السيد محمد علي عيسى كمال الدين

- أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

مكتبات مهداة إلى مكتبة الروضة الحيدريّة المطهّرة

مكتبة السيد محمد علي عيسى كمال الدين

بعد أنْ وصلت مكتبة السيد محمد علي عيسى بتأريخ السبت ١٠/١٠/٢٠٠٩ (١٤٢٩هـ) إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهّرة وصل معها هذا الإقرار:

(نحنُ ورثة المرحوم السيد محمد علي عيسى كمال الدين نوقف مكتبة والدنا المرحوم على مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد وكلنا السيد هاشم محمد مرتضى نجف بتولي هذا الأمر، والمكتبة هي عبارة عن مجموعة من الكتب الفقهية والكتب اللغوية والأدبية في مختلف النواحي، إضافة إلى المجلات القديمة والحديثة، راجين من الباري عزّ وجلّ أنْ يوفّق الجميع إلى ما يحب ويرضى).

صاحب المكتبة الموقوفة:

وُلِدَ المرحوم في عام ١٩٠٠م في النجف الأشرف ونشأ بها على يد والده، حيث أقرأه مقدمات العلوم وبرز في دراسة اللغة العربية والمنطق، وتطلع إلى الدراسات الحديثة، وأشرف على تحرير جريدة الثورة (الاستقلال النجفية) عام ١٩٢٠م، كما شارك كمحرر في جريدة الفرات النجفية، وهاتان الجريدتان كانتا اللسان المعبّر عن ثورة العشرين وقيادتها في النجف الأشرف، وكان في الوقت نفسه يشارك الشاعر الثائر محمد باقر الشبيبي في تحرير البلاغات العسكرية التي كانت تطبع في النجف

باسم الثورة، وعند انهيار الثورة هاجر مع صديقه الشاعر السيد أحمد الصافي والمرحوم السيد سعد صالح إلى الكويت.

وبعد صدور العفو العام عن الثوار في العراق رجع السيد محمد إلى بلده، وعند إعلان الحكومة الملكية افتتاح دار المعلمين الابتدائية عام ١٩٢١ التحق بها وتخرج منها حيث عيّن معلّمًا في المدارس الابتدائية فمديرًا ثم عين مدرسًا في المدارس الثانوية وأخيرًا ملاحظًا لمجلة المعلم الجديد، ثم أحيل على التقاعد بطلب منه عام ١٩٥٩م، وبعد أن أسدى خدمات جليلة في حقل التربية والتعليم التي امتدت إلى ما يقارب الأربعين عامًا كان فيها مثالًا طيبًا للموجّه الهادئ والمربي المخلص.

مؤلفاتـــــه:

له رسائل ومحاضرات ومقالات كثيرة نُشرت في الصحف والمجلات، وطُبع له من المؤلفات:

١. الثورة العراقية الكبرى.
٢. سعد صالح (ترجم لصديقه وأوضح سيرته المثلى وأعرب عن وفائه للصداقة).
٣. ذكرى السيد عيسى كمال الدين.
٤. التطور الفكري في العراق.
٥. تيسير العربية.
٦. النجف في ربع قرن (حقّقه الأستاذ سلمان الجبـــوري).

أمّا آثاره المخطوطة:

١. رحلة إلى سوريا ولبنان.
٢. كتاب في علم المنطق.
٣. رسالة الأمة العربية.

أبرز الكتب والإصدارات التي وصلت إلى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة

تصل الى مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة مئات العناوين شهريا من مختلف المواضيع العلمية والإنسانية والتاريخية والدراسات والبحوث، إذ تضم مصادر متعددة ومراجع مختلفة في اتجاهات متنوعة ، لتكون منهلا مهما للقراء والباحثين والدارسين وغيرهم، وفي هذا الباب نحاول إبراز عدد من الكتب المهمة التي وصلت هذا الشهر الى المكتبة.

العنوان	المؤلف	الناشر	مكان تواجد الكتاب
مشكلة الخلق في الفكر الإسلامي	حسام الآلوسي	منشورات ضفاف	$17 3 25 d
دروس في العقائد و المعارف	محمد تقي سبحاني	مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي	$17d 3 26
تكوين العقل العلمى: مساهمة فى التحليل النفسانى للمعرفة الموضوعية	غاستون باشلار	مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر	$41a 2 14
مدخل في أسس و طبيعة المهارات الحركية جزء خاص لذوي الاحتياجات الخاصة	عصام الدين متولي عبدالله	مركز الكتاب الحديث	43i 2 6
التربية و التعليم عند المسلمين من النشأة حتى عهد المدارس	حسن فضل الله	دار الولاء لصناعة النشر	43i 4 22
التواصل البيداغوجي و تنمية المهارات الحياتية و اللغوية كتاب جماعي محكم	حسن بدوح	دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع	43i 4 23
السعادة هى المشكلة	بيدرو فيفار نونيز	دار صوفيا	$41 5 24
ثقافة التنمية البشرية: بحوث تربوية في بناء الذات و المجتمع وفق منهج الاسلام ومبادئ الصحة النفسية	حسين بركة الشامي	مؤسسة دار الاسلام	$41 2 33
القياس والتقويم التربوي و النفسي: اساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة	صلاح الدين محمود علام	دار الفكر العربي	$41 2 34
دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة	جان كمبي	دار المشرق	$18d 4 18
الدليل المساعد لدراسة العهد القديم	هـ. ريتشارد هيستر	دار منهل الحياة	$18c 5 4

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكـــان تواجد الكتاب
الأم الغائبة عاطفيا كيف يمكن تحديد وعلاج الآثار الخفية للاهمال العاطفي اثناء الطفولة	جاسمين لي كوري	مركز دلائل	43i 4 24
اتجاهات و قضايا في تصميم و تقنيات التعليم	روبرت ايه. رايز، جون في. ديمبسي	دار جامعة الملك سعود للنشر	43i 4 25
التربية النمائية الشمولية للطفل في السنوات المبكرة	وايزمان باتريشيا؛ جوان هندريك	دار جامعة الملك سعود للنشر	43i 4 26
التعليم و التواصل مقدمات نقدية فى الثقافة و اللسان	Peter Trudgill	دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع	43i 4 27
دليل التربية الاسرية خمسة و سبعون ملحظا تربويا للابوين	عبدالكريم بكار	دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة	43i 4 28
١٠١ مبدأ للتوجيه الايجابي للاطفال الصغار ابتكار معلمين متجاوبين / سريعي الاستجابة	كاثرين س. كيرسي، ماري ل. ماسترسون	دار جامعة الملك سعود للنشر	43i 4 29
التعليم الالكتروني استراتيجيات لايصال المعرفة في العصر الرقمي	مارك ج. روز نبيرج	دار جامعة الملك سعود للنشر	43i 4 30
نهج التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة	جايبول ل. روبنارين	دار جامعة الملك سعود للنشر	43i 4 31
سلسلة تدخلات جيلفورد العملية في المدارس الاستراتيجيات المبنية على الادلة للادارة الصفية الفعالة	ديفيد م. هولاك	دار جامعة الملك سعود للنشر	43i 4 32
خطوات نحو اسس موحدة للنماذج و المناهج العلمية	انج س. هيلاند	المركز القومي للترجمة	43i 4 33
القانون الدولي الخاص / القسم الثاني: تنازع القوانين و تنازع الاختصاص القضائي و تنفيذ الأحكام الأجنبية	حسن الهداوي	دار الكتب للطباعة و النشر / جامعة الموصل	$23i 5 17
قانون التأمينات العينية و الشخصية الفرنسي لعام ١٢٠٢: المعدل للقانون المدني، قانون التنفيذ، القانون التجاري، قانون النقد و المال، و قانون النقل	عمار كريم الفتلاوي	منشورات زين الحقوقية	$23h 4 24

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكـــان تواجد الكتاب
الحماية الدولية للمقابر الجماعية في ضوء قواعد القانون الدولي الانساني	شيماء طرام لفتة النوفلي	المركز العربي للدراسات و البحوث العلمية	$23b 2 20
رئيس الدولة في الاتحاد الفدرالي	علي يوسف الشكري	المكتبة الحيدرية	$23f 5 39
أثر الأصول اللفظية في صياغة النصوص القانونية: دراسة مقارنة	ستار جبار زاير الغزي	العلمين للنشر	$23f 5 40
انتهاكات داعش للقانون الدولي الإنساني	فاضل الغراوي	مركز الرافدين للحوار	$23b 3 34
اختصاص المحكمة الجنائية الدولية في محاسبة مرتكبي جريمة سبايكر	محمد جبار جدوع العبدلي	مكتبة السنهوري	$23d 5 28
الترويج لخطاب الكراهية من خلال وسائل الإعلام و الانترنت: حالة تشريع قانون تجريم الخطاب في فرنسا	وليد كاصد الزيدي	منتدى المعارف	$23d 5 29
أبحاث فى القانون ورجاله	احمد مجيد الحسن	المكتبة الوطنية	77u 2 16
تجاوز الدفاع الشرعي	داود العطار	[لانا]	77u 2 17
قاضي التحقيق في ضوء الفقه والاجتهاد	نبيل شديد الفاضل رعد	المؤسسة الحديثة للكتب	77u 2 18
مسؤولية المقاول العقدية عن فعل الغير في القانون العراقي	نصيف علي عبد الرضا عباس المياحي	العطار	77u 2 19
نظرية التعسف في استعمال الحق وتطبيقاتها في القانون المدني العراقي	نصيف علي عبد الرضا عباس المياحي	العطار للنشر	77u 2 20
الهيمنة على الفضاء بوابة السيطرة على العالم	محمد كاضم المعيني	المركز العربي	77u 2 21
المياه في العراق الأبعاد الدستورية و التشريعية و المؤسساتية	زينب علي سلمان	الدار البابلية	77u 2 22
عقد اجارة الرحم	اسراء جمعة عبد الحسن الكعب	المركز العربي	77u 2 23
الحماية الجنائية عن أفعال المساس بالخصوصية الجينية	عمر سلمان داود المحمدي	المركز العربي	77u 2 24

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكـــان تواجد الكتاب
المسؤلية المدنية عن الروشتة العلاجية للطبيب و الصيدلى	صالح سعداوى عبد الحفيظ درويش	المركز العربي الثقافي	77u 2 25
المسؤلية الجنائية الناشئة عن الاتجار بالأعضاء البشرية	نجوى نجم الدين جمال	المركز العربي	77u 2 26
التنظيم القانوني للطائرة	سجى مطر حنون	المركز العربي	77u 2 27
مشكلات التنمر الالكتروني في القانون الجنائي	سحر فؤاد مجيد النجار	المركز العربي	77u 2 28
الأحكام الموضوعية لجريمة التمييز العنصري	رعد طعمة عواد	[لانا]	77u 2 29
الوضع القانونى لمصانع الأدوية	اعتدال عبد الباقي يوسف	المركز العربي	77s 5 26
سنن الساجي ٣٠٧هـ-٩١٩م	جاسم ياسين الدرويش	تموز ديموزي	21c 5 40
الأمالي	عبد الجبار بن احمد الهمزاني	مجلس حكماء المسلمين	21c 5 41
جوانب منسية في دراسة السنة النبوية	حسين علي محفوظ	مطبعة الشموع	21c 5 42
لغة الحديث القدسي في ضوء علم لغة النص	سعيد احمد بيومي	مكتبة الاداب	10h 4 23
الشريف بالمنن في التعريف بالفتن	رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى بن جعفر ابن طاوس الحسيني	دار زين العابدين	21k 2 3-4
كتاب الفتن	الحافظ ابي عبدالله نعيم	دار الؤلؤة	21k 2 5-6
الدليل الإرشادي الى مقاصد الشريعة الاسلامية	محمد كمال الدين امام	[لانا]	81d 6 1-10
التكافل الاجتماعي عند العرب قبل الإسلام	مصطفى جواد عباس	تموز ديموزي	i 50 5 1
فلسفة التاريخ تأريخه وتفسيره وكتابته	عبد العزيز عبد الغني	مركز طروس للنشر والتوزيع	i 50 5 2

العنـــوان	المؤلف	الناشر	مكـــان تواجد الكتاب
المعاهد التاريخية الإيرانية ١٠٠ اتفاقية ومعاهدة تاريخية من العصر الصفوي إلى نهاية العصر القاجاري	عباس رمضاني	مركز طوروس للنشر	i 50 5 3
الدين و الدولة في سوريا	توماس بيريه	مركز نهوض	i 50 5 4
افتراءات المستشرقين و الحداثيين على اصول الشريعة وأئمتها	هانى محمود حسن	دار اللؤلؤة	59b 3 7
ظاهرة الإلحاد واقعها وسبل معالجتها في ضوء مدرسة الامام الشهيد محمد باقر الصدر ومناهج المفكرين المعاصرين	جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام	مؤسسة دار الاسلام	56A 2 15-16
جرائم القبض أو الحجز أو الحبس للاشخاص بدون وجه حق وخطفهم في القانون المقارن	رافع خلف محمود عرميط العيساوي	دار آمنة للنشر والتوزيع	$23d 5 30
توقع النتيجة الجرمية و التسبب فى وقوعها: دراسة تحليلية مقارنة	عباس عبدالرزاق مجلى السعيدى	المركز العربي للدراسات و البحوث العلمية	$23d 5 31

شـؤون دوليـة

الهُوَّةُ بين القانون الحديث وأحكام الشريعة

الخبير القضائي م.م نصير جبرين
النجف الأشرف

الهـوة بين القانـــون الحديـث وأحكـام الشريـعـة

الخبير القضائي م.م. نصير جبرين
النجف الأشرف

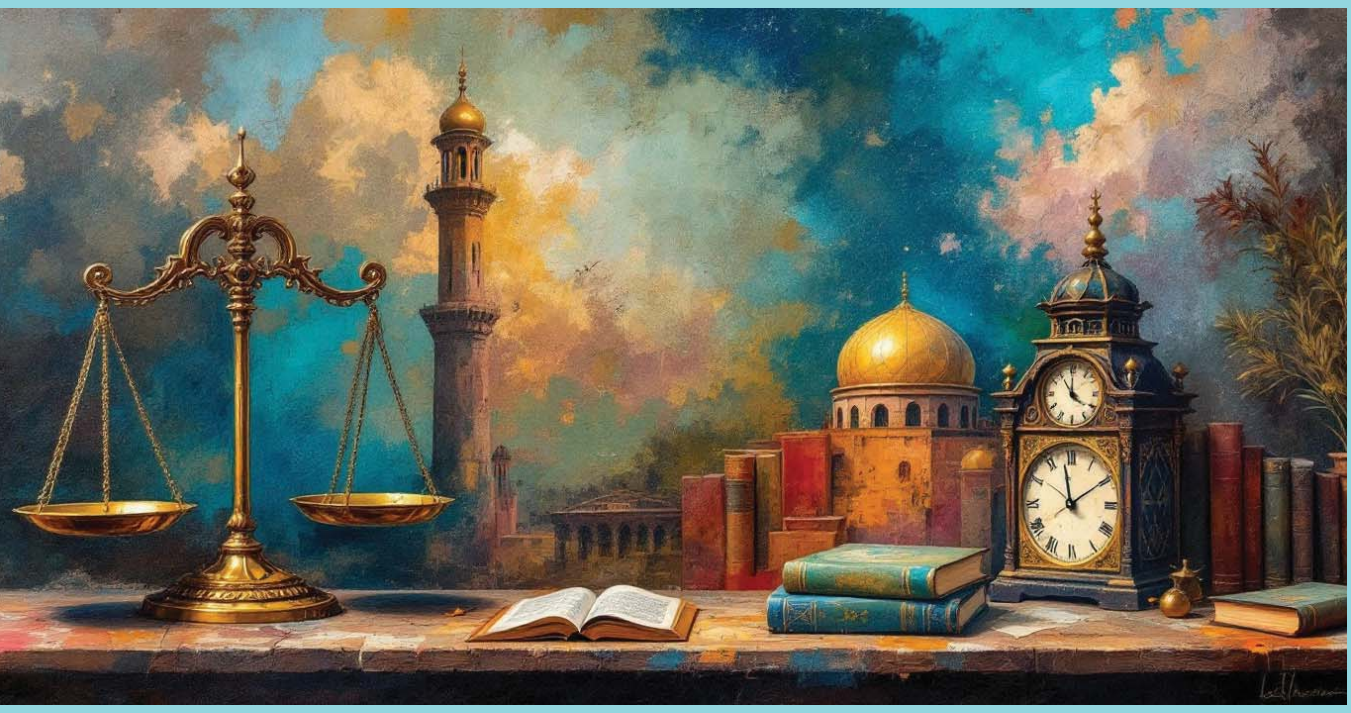

مبـدأ احـترام القانون وهو الـذي تحيط بنا مقتضياته وتحاصرنا إجراءاتـــه في أدق تفاصيـــل حياتنـا اليوميـة: في البيوت وبين النـــاس، في الشـارع ومقرات العمـل، في الأرض وفي جو السـماء؛ ينظم علاقاتنـــا أفـــرادًا ومؤسســـاتٍ في الاقتصاد والسياسـة والحياة عمومًا ونحتكـم إلى قضائـه عند الخصومـة والـــنزاع نطلب حقًـا أو ندفع مظلمة.

إنَّ وسم القانون بالوضعي كونه يضعه نواب عن الأمة أكفاءٌ مؤهلون، لكن مشكلتهم تتجاذبهم مصالح الحزب الضيقة ويغريهم بريق السلطة وألق الحكم في غير منأىً عن مكر السياسة وسلطة المال؛ بينما الشرع منزَّلٌ منزَّهٌ عن ذلك، يستنبط أحكامَه من أدلته التفصيلية علماءُ مجتهدون تغلب عليهم صفات التقوى والورع في معزل تام عن فتن الحكم ونفوذ أصحابه.

وهو كذلك منذ تأسست الدول الإسلامية الحديثة عقب جلاء المستعمر وتبنت حكوماتها -ولو نظريا- نُظُمَ الديمقراطية وآلياتِها في التشريع والإدارة والقضاء، حاملةً معها إرثًا ضخمًا من القوانين والمراسيم والقرارات التي صدرت إبان فترة الاستعمار من سلطة غريبةٍ عن الأمة منفصلةٍ عن شريعتها السمحة وتراثها الفقهي الزاخر، لقد رحل الغريب الثقيل عن الدار بعد مكابدة وجهاد، لكن لم يبرحْ أولوا الأمر بعده مفتتنين بحداثته العقلانية وتفوقه العلمي، واقعين في دائرة تأثيره باختيارهم أو مرغمين.

فلم يكتفوا بعدم تنقيح تركته القانونية لتلائم شرع الإسلام وكماهيَ عقيدةَ الشعب الذي هو مصدر السلطة، بل نبذوا وراء ظهورهم كلَّ الشرع ومعه طرائقَ الاجتهاد المتوارثة والتي يُشهَد لها بالنبوغ والابتكار والدقة والحرفية، إلا ما كان من قوانين الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث وما شابه فلم تبرحْ حضنَ الشريعة الدافئ استثناءً وحيدًا وكأن مجالات الجزاءات والتجارة والعقار والمعاهدات وغيرها لا يسعها عدل الشرع الحنيف ولا اجتهادات فقهائه المتمرسين![1].

إن إقصاء الشرع من دائرة تدبير الشأن العام وعند صياغة القوانين تحديدًا بدعوى الحداثة وإكراهات العصر وبسببٍ من طغيان الفكر المتحرر اللاديني عند النخب الحاكمة غالبا ما يتِمُّ التلطيف من قسوته مراعاةً لضمير الشعب وتكريسًا لوحدته العاطفية بالنص في وثيقة الدستور على مكانة الإسلام كدين للدولة تارة أو على وجوب ملاءمة التشريعات لمبادئ الشرع الحنيف ومقاصده تارة أخرى، شيء جميل! لكنْ أجملُ منه تفعيلُ هذا المقتضى الدستوري العالي في مراقبة القوانين المعروضة على المصادقة وإعادة قراءة ما قد سبق تمريره منها في غفلة من الزمن وفي إتاحة الطعن في دستوريتها أمام قضاء حر كفء ونزيه.

إن هذا الأمر إذ يحتاج إلى إرادة سياسيةٍ صادقةٍ لربط حاضر الأمة بماضيها والتصالح مع هويتها ودينها- الذي هو عصمة أمرها- لهو الكفيل في نظري بإعلاء شأن القانون في نفوس المواطنين المسلمين خاصةً بجعله جزءًا من شريعتهم التي يدينون بها، فتكونُ مراعاته قربةً إلى الله وحسنة وتكون مخالفته معصيةً لله وسيئة ويجري بالتالي على مقتضياته مفهوما الحلال والحرام اللذان لا تخفى خطورتهما في ضمير المسلم ووجدان المواطن المؤمن[2].

هذا وإن كانت بعض القوانين غير مستوحاة من شرع الإسلام أو مخالِفةً لأحكامه في بعض

تفاصيلها فإنها في عمومها تتوخى المصلحة وتجلب المنفعة وهذا من صميم الدين، فلا يُعقلُ من مسلم رفضُ القانون الحديث جملة وتفصيلا أو التحايلُ على عدم الوفاء له والالتزام به بدعوى كونِه موضوعًا من قبل بشر أو بدعوى مخالفته لحكم من الشرع صريح.

أما وضعه من بشر فلا ينفي التشريعَ عن الله أصالةً وإنما هو اجتهاد يقوم به نواب الأمة في مجالاتٍ شاسعةٍ من الحياة وفروعٍ شتى من الفقه ليس فيها نص قطعي صريح من كتاب أو سنة، بل تقودهم في ذلك فقط مقاصد الشرع السنية وقيمه النبيلة في العدل وجلب المصالح ودرء المفاسد ورفع الحرج وغير ذلك، وأما مخالفة القانون لحكم الشرع كما في العقوبات ومعاملات البنوك وبعض العقود وغيرها فمدعاةٌ بلا شك إلى رفضه اعتقادًا وإيمانًا وإلى تجنب الوقوع تحت طائلته ما أمكن ذلك، لكنْ لا إلى التمرد عليه وخرقه عنوة، وما ذاك إلا درءٌ للفتنة والفرقة وحفاظًا على الوحدة والسلم، في انتظار العمل على تغيير المخالف من القوانين لروح الشرع بالسبل المتاحة من ضغطٍ على أرباب القرار وتقديم لمقترحات تشريعية جديدةٍ أو مصحَّحة ورفعٍ لدعاوى أمام محاكم القضاء.

فتجد من يتهرب من أداء واجباته الضريبية وهو للزكاة فاعل ومن يخرق قانون المرور وهو لله ذاكر ومن لا يعتد بقانون الشغل وهو معتمر وحاج وغير هذا كثير كثير، ظنًا منهم أن مخالفة هذه المقتضيات ليست تعد إثمًا ولا حرامًا وأن اقترافها لا يستوجب عذابًا في الأخرى أو ملامًا؛

إنّ ثقافة احترام القانون لا غنىً عنها لبناء الدولة ونهوض المجتمع، وهي في جوهر الدين ومن صميمه

وهم للأسف خاطئون وآثمون وعن صراط الحق لا محالةَ ناكبون![٣]، بالرغم من ان كثيراً من علماء الدين يفتون بحرمة مخالفة القوانين كما هو حال المرجع الأعلى سماحة السيد علي السيستاني دام ظله.

إن ثقافة احترام القانون لا غنىً عنها لبناء الدولة ونهوض المجتمع، وهي في جوهر الدين ومن صميمه كما بيّنّا، علمًا بأن ثمة عملا دؤوبا منتظرًا لردم الهوة بين القانون الحديث وأحكام الشريعة السمحة وجهدًا مخلصًا لا بد منه في توعية الناس كما الدعاة بهذا الأمر وفي تربية الناشئة على ذلك، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ١٠٥].

١- الشيخ عبد العزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة: ٧٨.
٢- الدكتور عبد الله العريان، احكام القرآن٢/ ٦٧.
٣- الجصاص، أصول القانون الدولي: ١٢٤.

الشــرق والغــرب

- الغرب وسرقة حضارة الشرق العراق مثالًا

الباحث: عبد الكريم جودي رفيش

- الأخلاق والتّربية.. بين الغرب والإسلام

د. يسرى مازح
الجامعة اللبنانية

الغــرب وســرقــة حضـــارة الشـــرق العـــراق مثـــالًا

الحلقة الثانيــة

الباحث: عبد الكريم جودي رفيش

توزيــع التِلال الأثريـــة العراقية حسـب المحاصصة الاسـتعمارية بـين دول الغرب.

بحلـول منتصـف القـرن التاسـع عـشر الميلادي وبعـد صراعـات ونزاعـات ومؤامـرات بـين الدول الأوربيـة وبـين الإمبراطوريـة العثمانيـة المنهكـة، كان العـراق أحـد مسـارح هـذه الصراعـات، فقـد تقاسـمت الـدول الأوربيـة الغربيـة فيـما بينهـا غنيمتهـا مـن التـلال الأثرية في العـراق ممثلـةً بهيئاتها الدبلوماسـية في عملية محاصصة اسـتيلائية استعمارية غـير مشروعـة إذ توزعـت كالآتي:

حصـة بريطانيـا: تـلال قوينجـق والنمـرود وبـلاوات في الموصـل والمقـير (أور) في الجنـوب.

حصـة فرنسـا: تـلال خرسـباد في الموصـل وتلـو والأحيمـر وسـنكره في الجنـوب.

حصـة ألمانيـا: تـلال آشـور والعقـر في الموصـل وبابـل وسر مـن رآى في الوسـط والـوركاء في الجنـوب.

حصـة أمريـكا: تل نـوزي في كركوك وتل أسـمر (أشـنونا) في ديالى ونفـر في الجنوب.

فضـلًا عـن ذلـك فقـد اسـتباحت هـذه الـدول التـلال الأثريـة كلهـا في العـراق وكان كل ذلـك في غيـاب الوعـي الحضـاري والثقـافي والآثـاري عنـد المسـؤولين العثمانيـين[1].

وبعـد التقاسـم في منتصـف القرن التاسـع عشر بـدأ نشـاط تلـك الهيئـات الدبلوماسـية بالحفريـات غـير المشروعـة فكانـت في حـرب خفيـة فيـما بينهـا واسـتغلال الظـروف للقيـام بالحفريـات تحـت جنـح الظـلام أو في الخفـاء في تلـك التـلال التـي كانـت من حصـة الآخريـن، وكان هـؤلاء الحفارون مـن قنصليـات الـدول في تلهفهـم واسـتعجالهم لا يتوانـون عـن تدمـير المواقـع الأثريـة وإزالـة معالمها ومخططاتهـا من أجـل الوصـول إلى الدفائـن الأثرية، حتـى إن بعـض المواقع تركوهـا ركامًـا وأنقاضًا مثل مـدن الآشـوريين وقصورهم ومعابدهـم في (نينوى وكَلخـو ودور شروكـين) ومدينة بابل وسر من رآى، وقـد راودت أحـد الحفاريـن الفرنسـيين (فرانـك ـ سـنة ١٨٥٢) فكـرة تفجـير تل بورسـيبا لـيرى ما في داخـل هـذا التـل الكبـير، لقـد كانـوا مجـرد صيادي كنـوز وحفاريـن وسرَّاق آثـار ولم يكـن يعيقهم حتى وجـود المقابـر الإسـلامية حيـث يعمـدون الى حفـر الأنفـاق لسرقـة الآثـار المدفونـة تحتها.

لـذا يسـتوجب الحديـث عن مـا قامت بـه بعض هـذه الـدول من سرقـات للآثـار العراقية:

فرنسا..

بـادر الفرنسـيون بفتـح قنصليتهـم في الموصـل سـنة (١٨٤٢م)، حيـث وقـع الاختيـار عـلى الطبيـب وعـالم النبـات (بـول إيميـل بوتـا) ليكـون نائبًـا للقنصـل فيهـا وهـو ينحـدر مـن أصـول إيطاليـة وكان مدمنًـا للخمـر ومختصًـا بالدراسـات العربيـة والشرقيـة ومغرقـا بالهواجـس التوراتيـة، وكانـت مهمتـه الأولى تنحـصر بجمـع المخطوطات القديمـة العربية والإسـلامية والنصرانيـة واليهودية والسريانيـة واليزيديـة وتهريبهـا الى فرنسـا، وكذلك فحـص التـلال الأثرية هنـاك، وكان ضمن نشـاطاته غـير المشروعـة إجـراء الحفريـات في التـلال الأثريـة وخاصـة في تـل التوبـة إلا أن وجـود القبر المنسـوب الى النبـي يونـس المقـدس عنـد المسـلمين والنصارى واليهـود مـن أهـالي الموصل جعلـه يمتنع عـن ذلك، فتحـول اهتمامه الى تـل (قوينجق) الأثـري وهو أكبر

تـل أثـري في نينـوى والعـراق، وهـذا التـل أكبر من تـل النبي يونس المجـاور بثلاث مـرات تقريبًا وباشر في الحفريـات في شـهر كانـون الأول سـنة (١٨٤٢) عـلى حسـابه الخاص بـدون تكليـف رسـمي من أي جهـة وبـدون الحصـول عـلى رخصـة أو فرمـان من البـاب العـالي خلافًـا للأعـراف الدبلوماسـية، وبعد أكثـر مـن ثلاثة أشـهر من الحفـر العشـوائي كان بوتا يائسًـا ومرهقًـا ومصابًـا بالإحبـاط حيـث لم يحالفـه الحـظ بالعثـور عـلى شيء ذي قيمـة.

وفي شـهر آذار مـن سـنة (١٨٤٣) أخـبره السـكان بوجـود منحوتـات حجريـة في تـل قـرب قريـة (خرسـباد) التـي تبعـد (٢٠) كيلـو مترًا شـمال شرق الموصـل وكان هـذا التـل هـو موقـع العاصمة الآشـورية الرابعـة (دور شروكـين) مدينـة الملـك شروكـين الثـاني (٧٢١ـ ٧٠٥ ق. م) وهو (سرجون بالتـوراة) ولأنـه لم يكـن متأكـدًا مـن أقوالهـم فقـد أرسـل بعـض رجالـه الذيـن يثـق بهـم إلى هنـاك ووجـدوا في يومهـم الأول أحجـارًا مهمـة وألـواح جداريـة مكتوبـة، وبعـد ذلـك أغلـق حفرياتـه في قوينجـق، وانتقـل إلى خرسـباد وبـدون فرمـان مـن البـاب العـالي، وحـال وصـول بوتـا إلى خرسـباد في (٢٠ ـ ٣ـ ١٨٤٣م) بـدأ الحفـر في المـكان الـذي أرشـده إليـه القرويـون.[٢]

اكتشاف قصر شروكين (الثاني):

دور شروكـين وتعني قصر سرجـون هي عاصمة الإمبراطوريـة الحديثـة في عهد الملك سرجـون الثاني الـذي أمـر ببنائهـا في عـام (٧١٧ق.م) وفي اليـوم الأول للحفـر مـن قبل بوتـا كانـت المصادفة وضربة الحـظ فأظهـرت معـاول الحفارين واجهـة قـصر شروكـين الـذي ليـس لـه مثيـل في كل قصـور العالم القديـم والـذي أسسـه سـنة (٧١٧ ق. م)، فـكان هذا الإكتشـاف هـو البداية لمحنـة الآثار الآشـورية، وكانـت الواجهـة تمتـد بطـول أكثـر مـن (١٠٠ متر) تتكـون مـن (٣٦) منحوتـة جداريـة تتخللهـا (٤) بوابـات كبـيرة فيهـا (١٦) مـن منحوتـات الثـيران المجنحـة (لاماسـو) منها (٦) ثـيران اعتيادية و(١٠) ثـيران ملتفتـة جانبيًـا متناظـرة في إنشـائها ويرافقهـا (٨) تماثيـل عملاقـة لأشـخاص يعتقـد علـماء الآثار أنها تمثـل كلكامـش وكل واحد من تماثيـل كلكامش يجـاور ثورًا مجنحًـا اعتياديًـا أو ملتفتًـا جانبيًا،وبذلك يكون عـدد منحوتات الواجهـة (٦٠) منحوتة، وقد فاجأتـه هـذه المجموعـة الكبـيرة بفنهـا وعظمتهـا؛ لأنـه لم يسـبق لأحـد مشـاهدة مثـل هـذا النـوع مـن فنـون النحـت ولم يكـن هنالـك مـا يشـابهها في كل فنـون حضـارات العـالم القديـم وهـي تحمـل بـين ثنايـا تفاصيلهـا الكثير من سـمات الإبـداع والأصالة الشرقية.

وقـد حـاول بعـض السـكان أن يعيقـوا عمـل بوتـا عندمـا كانـوا يغـيرون ليـلًا للاسـتيلاء عـلى الأعمـدة الخشـبية والمعـدات وكذلك لم تكـن أعماله بعيـدة عـن العيـون العثمانيـة الذيـن بـدأوا بتشـديد مراقبتهـم لـه، أمـا هـو فقـد سـارع بـدون تـرويّ لإخبار الجمعية الآسـيوية الفرنسـية بأنه قد اكتشـف نينـوى فسـارعت الجمعية إلى مدّه بالمـال اللازم، وفي بدايـة سـنة (١٨٤٤م) أي بعـد تسـعة أشـهر من بدء حفرياتـه غـير الشرعيـة حصلـت لـه الدبلوماسـية الفرنسـية على الفرمان من السـلطان العثماني للسـماح لـه بالحفريـات ونقل الآثـار المكتشـفة، وبعد وصول الشـحنة الأولى مـن الثـيران المجنحـة والمنحوتـات الجداريـة الى متحـف اللوفـر قامـت الجمعيـة بتقديم الدعـم والعـون المـادي له حيث اسـتلم مبلغ سـتين ألـف فرنـك وكان ذلـك مبلغًـا كبيرًا جـدًا[٣].

بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة
بابل بوابة الالهة

وقام بوتا بإخبار الجمعية بحاجته الى رسام قدير يقوم برسم المنحوتان التي بدأت تظهر بكثرة ولابد من توثيقها،لأن قسمًا منها سرعان ما كان يتلف بعد خروجها من الأرض حيث كانت مدفونة لأكثر من ألفين وسبعمائة سنة، وبعد تزايد عدد المكتشفات الأثرية وصل الرسام الإستشراقي الشهير (يوجين فلانديـن) في الشهر الخامس من سنة (١٨٤٤م) وباشر بالعمل لغاية الشهر العاشر، حيث أنهى بوتا حفرياته قائلًا إنه أنجز التنقيب بالقصر، وقد وثق (فلاندن) جميع المنحوتات المكتشفة في (٣٩٨) لوحة تخطيطية مدروسة تقصّى فيها أدق التفاصيل.

كان القصر مبنيًا على دكّة حجرية مزدوجة عالية وفيها (٦) بوابات واحدة منها رئيسة فيها (١٢) منحوتة تتكون من (٨) ثيران مجنحة بقياس(٥ × ٥) متر ويرافق اثنان منها تمثالاً ضخماً لإله مجنّح و(٤) من هذه الثيران تلتفت جانبيًا مع تمثالين هائلي الحجم لكلكامش وموقع هذه البوابة في الجهة اليسرى من الواجهة، أما البوابة الرئيسة الثانية الواقعة في الجهة اليمنى فتتكون من (١٢) منحوتة منها (٤) ثيران ملتفتة جانبيًا وثورين اعتياديين كبيرَي الحجم مع (٦) تماثيل لإله مجنّح ويتوسط هاتين البوابتين الكبيرتين (٣) بوابات أخرى فيها (٤) ثيران اعتيادية، ومن خلال بوابة الواجهة الرئيسة دخل إلى القصر حيث كشف عن أكثر من مائة قاعة وغرفة وساحة فضلًا عن قاعة العرش العظيمة،وكانت جميع جدرانها مغطاة بالألواح الجدارية المنحوتة والملونة، وكان عدد البوابات التي عثر عليها (٢٦) بوابة خارجية وداخلية يزينها (٥٢) ثور مجنّح يصل ارتفاع بعضها إلى خمسة أمتار وبعرض خمسة أمتار منها (١٢) ثوراً ملتفتاً جانبيًا وحوالي (١٢) تمثال لكلكامش، وتبيّن له أن مساحة القصر (٢٠٠ × ٣٤٠ متر)، وأما أطلال الأسوار الخارجية للمدينة فهي على شكل مستطيل (١٧٦٠ × ١٦٧٥ متر) مع وجود (٧) بوابات فيها وهي ذات أقواس مزيّنة بالبلاط المزجج، وكان بوتا قد عثر في العام (١٨٤٤م) على تمثالين لثورين مجنحين كبيرين في إحدى بوابات قصر شروكين بقياس (٥ × ٥ متر) وبجانب كل منهما تمثال ملاك مجنّح وكانت المنحوتات في حالة جيدة من الحفظ وحاول نقلها وايصالها إلى شاطئ النهر إلا أن محاولته فشلت فدفن المنحوتات الأربع في منتصف الطريق، وبقيت كذلك لأكثر من سنتين وعندما جاء القنصل الفرنسي الجديد (فكتور بلاس) سنة (١٨٥٢م) عرض عليه الحفار البريطاني رولنسون رغبته بشراء المنحوتات، وبعد إتمام الصفقة وتقليدًا لطريقة الفرنسيين قام البريطانيون بتقطيع الثور الواحد إلى أربع قطع، وتمثال الملاك المجنح إلى قطعتين مما سهل عليهم، نقلها ووصلت المجموعة إلى لندن عام (١٨٥٨م) أي بعد (٦) سنوات من شرائها.

وفي شهر تشرين الثاني من سنة (١٨٤٦م) قرّر الرسام فلاندن العودة الى فرنسا بعد أن اختار مجموعة منتقاة من المنحوتات وتناقش مع بوتا تاركًا له القرار في اختيار ما يرسل منها إلى باريس، ويعزى الفضل للرسام الفرنسي (يوجين فلاندن) بسبب خدمته للآثار الآشورية الذي وثق جميع الآثار المكتشفة والتي ضاع بعضها في حادثة غرق الأكلاك الفرنسية في الشهر الثالث سنة (١٨٥٥م)،بل إن أعماله الفنية الدقيقة

ساعدت في تصور التكوين الهندسي والإنشاء الجمالي للواجهات الكبيرة للقصر الملكي، وكذلك الرسام الفرنسي الآخر (فيلكس توماس) الذي رسم جدارية دور شروكين الملونة العملاقة ووثق الكثير من اللوحات الجدارية المكتشفة في قوينجق التي ضاع بعض منها في حادثة الغرق في مياه شط العرب وبسبب سباق بوتا مع البريطانيين الذين كانوا يريدون الحفر في أحد التلال الأثرية في ضواحي الموصل فقد سارع بإقتلاع أحسن نموذجين للثور المجنّح وتمثالين لكلكامش المرافقين لهما من بوابة القصر ومعهما مجموعة من الألواح الجدارية المنحوتة والكثير من الآثار الصغيرة وقام بتحميلها تتابعًا على عربة مستعينًا بستمائة عامل، وحاول إيصال منحوتة الثور المجنح الأولى إلى شاطئ نهر دجلة إلا ان العربة غاصت في الطين وهي في الطريق وبعد جهود ومحاولات متعددة نجح بايصالها وبقية المنحوتات وحملها جميعًا على الأكلاك التي انحدرت مع النهر في طريقها الى بغداد، حيث استقبلتها القنصلية الفرنسية ووضعتها في مخازنها لمدة سنة ثم أرسلتها إلى البصرة ومنها إلى باريس ووصلت إلى متحف اللوفر في كانون الأول (١٨٤٦ م) أي بعد سنتين وتسعة أشهر من بدء الحفريات، وقد استقبلت الآثار الآشورية في باريس استقبالًا حماسيًا من قبل جميع المحافل الأكاديمية والعلمية وعموم الناس، ويذكر أن القاعة الآشورية في متحف اللوفر هي ثاني أكبر قاعة متحفية في العالم للآثار الآشورية بعد المتحف البريطاني. وفي عام (١٨٤٥ م) وبعد توقف الحفريات حاول بوتا نقل تمثال ضخم لثور مجنّح من الطراز (الشروكيني) الملتفت جانبًا يزن أربعين طنًا تقريبًا، إلا انه تحطم إلى قطعتين عند محاولة نقله فلم يستطع إيصاله شاطئ النهر وقام بإعادة دفنه في نفس المكان[٤].

وعندما جاء الأمريكان سنة (١٩٢٨م) في بعثة تنقيبية إلى دور شروكين يرأسها المنقب (إدوارد كيرا) من أساتذة جامعة بنسلفانيا ومتخصص في الآداب السومرية وبحث عن تمثال الثور المجنح العملاق الذي دفنه بوتا سنة (١٨٤٥ م) وكان مكان الدفن معروفاً، وبعد أن وجده قام بمفاتحة زميله الآثاري الأمريكي (جيمس هنري برستد) مدير متحف شيكاغو وأبرق له بالنص (وجدت ثورًا مجنّحًا بطول (٥) متر وارتفاع (٥) متر وجهه مستدير للجانب ولابد من إخراجه خلال شهر وذلك يكلف (عشرة آلاف دولار) وجاءه الجواب سريعًا من برستد (سيصلك المال واعمل جهدك لإيصاله إلى شيكاغو)، ولم يكن لدى برستد تغطية مالية كافية فقام بمفاتحة أحد الأثرياء الداعمين لجامعة شيكاغو(بيير دولوغار)الذي تبرع بإعطاء المبلغ والتكفل بمصاريف سرقة ونقل تمثال الثور، وقد قام السرّاق بنقل الثور المجنّح إلى بغداد أولًا بالسيارات حيث انكسر بين أيديهم وأصبح ثلاثة قطع، ثم ارسل إلى متحف شيكاغو بدون أنْ يخضع الاكتشاف ونقل التمثال إلى رقابة أو موافقة الحكومة العراقية ولم يطبق عليه قانون الآثار الصادر سنة (١٩٢٤م) ونصه القانوني الذي حدد بشكل قاطع احتفاظ العراق بالآثار الفريدة واقتسام الآثار المتشابهة ويعتبر تمثال الثور هذا من الآثار الفريدة الخاضعة لهذا النص القانوني، وهو الآن يُعدُّ الجوهرة الثمينة في متحف شيكاغو الذي يتمحور حوله عرض بقية المنحوتات الآشورية[٥].

أهمية آثار دور شروكين:

تـأتي أهميـة آثـار (دور شروكـين) بوصفها تمثِّل حلقـة مهمـة مـن سلسـلة حلقـات الفن الآشـوري ونقلـة نوعية في الشـكل الفني والإخراجـي للنحت الآشـوري، حيـث ابتكـر فنانو دور شروكـين بخيال لا ينضـب نمطًـا جديـدًا مـن المنحوتـات والثيران المجنحـة وهـي الثيران الملتفتـة جانبيًـا ومنحوتـات المـلاك المجنـح وتمثـال العمـلاق الـذي يحمل أسـدًا (كلكامـش) والـذي يصاحـب الثيران المجنحـة وقـد عمـد المهنـدس الآشـوري أن يجعـل منهـا جميعًـا وحـدة متماسـكة في واجهـات بوابـات المدينة والقـصر، وتـأتي أهميتهـا بوصفهـا محصـورة في فـترة زمنيـة محـددة (٧١٧ ـ ٧٠٦ ق. م) أي فـترة (١٢) سـنة مـن عمـر الفـن الآشـوري التـي أسـس فيهـا شروكـين عاصمتـه، وهـي تمثـل فـترة إنتـاج غزيـرة وازدهـار لفـن النحـت الـذي اسـتمر تطـوره حتـى وصلـت إبداعاتـه إلى قمتهـا في جداريـات قـصر الملـك (آشـور بـاني آبـلي) في نينـوى[٦].

---

(١) حميد الشمري، سرقة حضارة الطين والحجر: ٧٦
(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: ٤٥
(٣) حميد الشمري، سرقة حضارة الطين والحجر: ٨١
(٤) المصدر نفسه: ٧٨
(٥) موقع الجامعة المستنصرية، الحضارة العربية الإسلامية.
(٦) حميد الشمري، سرقة حضارة الطين والحجر: ٨٩

الأخـــــلاق والتّربيـــــة
بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية

د. يسرى مازح
الجامعة اللبنانية

إنّ الثّقافة الغربيّة التي تنتشر بقوّة على مواقع التّواصل الاجتماعيّ هي من أعظم الابتلاءات التي تواجه الأُسرة المسلمة، حيث إنّ معظم الأبناء لديهم أدوات التَّصفُّح مثل الهواتف المحمولة والكمبيوترات والأيبادات وألعاب الفيديو، لذا فإنّ سهولة تصفُّح تلك المواقع قد أتاح للأطفال والمراهقين التَّعرُّف على تلك الثّقافة ثمَّ الأعجاب بكثير من جوانبها كطريقة اللّباس والأكل ومظاهر الرّفاهيّة، لا سيّما أنّ هذه الأُمور تُعرض عليهم كأنّها مفاتيح سعادة الإنسان، ذلك أنّ الغرب يصوّر لنا السّعادة على أنّها محض ماديَّة، ولذا يركّزون على اقتناء الأشياء الثّمينة والتَّمتُّع بالحياة حتى لو استدعى ذلك معصية الله تعالى.

بينما يكمن الحلّ في مدرسة الثّقلين، حيث نجد في تعاليم القرآن وتعاليم أهل البيت عليهم السلام أُطروحات حول السّعادة تختلف عن أُطروحات الغرب، فإنّ الله تعالى ذكر لنا في آيات متعددة الأُمور التي تجلب السّعادة للإنسان؛ منها تقوى الله، والقرب والذّكر... حيث قال تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: ١٢٤]، وأيضًا راحة النّفس والأمن والاستقرار، التي تُعد كلّها من أبواب ومفاتيح السّعادة، ولا يلقّاها الإنسان

إلّا بقانون ربّانيّ ذُكر في القرآن، ألا وهو إقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قال تعالى مبشّرًا عباده المؤمنين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[يونس: ٦٢-٦٥].

وقد وعد الله المتّقين بالفضل، ورفعة المنزلة بقوله سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[الاحزاب: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: ٢١] وأمّا (البشرى) في الآخرة، فنحو تلقّي الملائكة بالسّلام، وإخبارهم بما أعدّ الله لهم في دار الكرامة، إلى هذا يشير قوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[النمل: ٨٧] هذه مختارات ممّا وعد الله المتّقين في الدُّنيا والآخرة.

من هذا المنطلق علينا أنْ نسعى إلى بناء مجتمع يرتقي بنا للأعلى من أجل أن نكون لائقين بالانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام حيث أرادوا لنا أنْ نكون زينًا وألّا نكون شينًا عليهم والعياذ بالله تعالى. وهو ما يوجب علينا مساعدة الأهل على مراقبة أبنائهم وبناتهم ومتابعتهم على دائمًا، بل علينا أن نسلّح الأهل بالأدوات التي تساعدهم على تربية أبناء صالحين ليصدق عليهم ما مرّ فيكونوا زينًا لأهل البيت عليهم السلام وسعداء في الدّنيا والآخرة، ولا نسمح للعدوّ الذي يبثّ ثّقافة تجعل مجتمعنا وأجيالنا شينًا على أهل البيت عليهم السلام، وتجرّ الخراب والفساد والشّقاء على مجتمعاتنا..

فإنّه لا يمكن لأحد أنْ ينكر اهتمام العدوّ بما يؤدّي إلى تغيير الهُويّة الإسلاميّة في مجتمعاتنا بتصوير الثّقافة الغربيّة على أنّها المنقذ لنا ولأبنائنا من التّخلُّف الذي نعيش فيه. ولذا تجد نهجهم يصوّر لنا أنّ الحجاب تخلُّف وأنّ الاحتشام والفضيلة والحياء وإطاعة الأبناء والبنات لوالديهم تخلُّف؛ وأنّه ينبغي عليهم محاربة هذه العادات بعادات جديدة مثل العادات التي تتضمّن الجرأة على الأهل، في حين أنّ اللّباس السّافر يصوّر على أنّه تحرُّر وقوّة وتفوّق، والصّحيح هو العكس تمامًا. وكذلك تجدهم يعملون على تعليم الأبناء على كلّ ما يثير الشّهوات ولو كان محرّمًا ومهلكًا، عبر عرض الأفلام والألعاب والمحادثات التي تثير الغرائز والشّهوة، فالغرب يدرك جيّدًا أنّ للشّهوات جاذبيّة كبيرة في نفس الأبناء والبنات المراهقين، كما يعلم كيفيّة التّغلغل إلى نفوسهم وعقولهم وأفكارهم، وعندما تستحكم تلك الشّهوات بحديثي السّنّ يصل بهم المقام إلى درجة لا تُقاوم، خاصّة أنّه أُتيح لهم تنوّع في سبل المنكر وأساليبه حتى أنّ من هم دون سنّ المراهقة اليوم يرتكبون ما لم يعرفه المراهقون في الأجيال الماضية نتيجة تكامل آليات عرض الفساد.

وليس لدينا سبيل لإنقاذ أبنائنا وبناتنا سوى مواكبتهم على مدار السّاعة ومنع كلّ السّبل المتاحة لتفحُّص تلك الصّفحات التي تروّج للثّقافة الغربيّة، وذلك في سبيل العمل على إنتاج برنامج متكامل لتأسيس مجتمع سعيد تقيّ يفتخر بهويّته الإسلاميّة.

ذاكـرة الامـم

جبل الجودي في النجف الأشرف
بين النص القرآني والموقع الجغرافي

الأستاذ المتمرس الدكتور
حسن عيسى الحكيم
رئيس جامعة الكوفة سابقًا

جبل الجودي في النجف الأشـــرف
بين النص القرآني والموقع الجغرافي

الأستاذ المتمرس الدكتور حسن عيسى الحكيم
رئيس جامعة الكوفة سابقًا

انفـردت أرض النجـف الأشرف بخاصيتـين تأريخيتـين هما وقـوع جبـل الجـودي في ربوعهـا، ومرقـد الإمـــام أمير المؤمنـين علي بـــن أبي طالب عليه السلام وقـد أشـار إليـه القـرآن الكريـــم في الآيـة الكريمـة: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[هـود: ٤٤]، قد حـدّدت موقـع جبل الجَـودي مـن أرض النجف الأشرف، وأنّ مرتفعـات (الذكـوات البيـض) قـد حـدّدت مرقد أمـير المؤمنين عليه السلام، ولكـن وقع بعض المؤرخـين والجغرافيـين في أوهـام عنـد استشـهادهم بالآيـة الكريمـة في حديثهـم عـن (جبـل الجـودي)، فـأوردوا أربعـة مواقـع جغرافيـة، وهـي: أرض الموصـل والجزيـرة، وبـلاد باسـورين وجزيـرة ابـن عمـر، وجبـل آرارات، وأرض النجـف الأشرف[1].

أرض الجودي:

وقـد أشـارت النصـوص إلى نـزول نبـي الله نوح عليـه السـلام في أرض الجـودي عنـد الطوفـان في واحـدة مـن هـذه المواقـع التأريخيـة والجغرافيـة، وأضـاف بنيامـين النطلي إلى رسـوّ سـفينة نـوح عليه السـلام عنـد سـفح جبـل طـوروس، وهـو جبـل كردسـتان[2]، وأضافـت بعـض النصـوص (جبـل آرارات) في رسـو السفينة، دون الالتفات إلى ارتفاعه الشـاهق، ولكـن بعـد الوقـوف عـلى النصـوص

المختلفة ومواقعها الجغرافية فإن(جبل الجودي) يقع في أرض النجف الأشرف، وقد أكّد العالم الجغرافي ابن رستة على ذلك بقوله: إنّ الجودي المكان المسمى (باغ داد) استوت عليه سفينة نوح عليه السلام في النجف الأشرف[٣]، وأراد الجغرافي ابن رستة بقوله: إنّ سفينة نوح عليه السلام اخترقت أرضي بغداد وبابل عند الطوفان ووصلت إلى أرض النجف الأشرف، ومن المحتمل قد استمد ابن رستة رأيه هذا من قول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنّ الجودي هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح عليه السلام بقوله: (سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا نجف أيعتصم بك مني فقلب في الأرض وتقطع إلى قتر)[٤]، وإنّ المقصود بالقتر نواحي الأرض.

أرض الغري:

وكان الإمام الصادق عليه السلام قد وقف على أرض (الغري) عند زيارته لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام، وصلّى عنده أربع ركعات وقال: (هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام)[٥]، عند حديث المؤرخ الطبري، المتوفى عام ٣١٠هـ عن الطوفان وجبل الجودي قال: إنّ الجودي كان بناحية الكوفة[٦]. وأكد المفسِّر العياشي على تحديد جبل الجودي في أرض النجف الأشرف بقوله: إنّ نوحًا عليه السلام لبث ومن معه في السفينة حتى نضب الماء، وخرجوا منها، وقال: لبثوا فيها سبعة أيام بلياليها، وطافت بالبيت ثم استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة[٧]، وقد رجَّح المؤرخ المحقق الدكتور أحمد سوسة رسو سفينة نوح عليه السلام في أرض النجف الأشرف، وإنّ النص القرآني يشير إلى الفلك (واستوت على الجودي) وهي أرض مرتفعة عن الصحراء جنوب شرقي الفرات، عند حدود سلسلة مرتفعات النجف التي تعلو عن سطح البحر فيها يقارب خمسة وستين مترًا[٨]، وقد استعرض الأستاذ الدكتور أحمد سوسة جميع الآراء التي تحدد موقع جبل الجودي، ورجّح رسو سفينة نبي الله نوح عليه السلام في المرتفعات الصحراوية الواقعة في جوار النجف الأشرف، وهي تعرف باسم (النواويس)، وقد أشار إليها الإمام الحسين عليه السلام بأنّ استشهاده يكون بين أرض النواويس وكربلاء[٩].

وبعد استعراض النصوص التاريخية، والمواقع الجغرافية تحقق أنّ سفينة نبي الله نوح عليه السلام قد رست عند الطوفان في أرض النجف الأشرف، وأن الآيات الكريمة التي تشير إلى (جبل الجودي) فان موقعه في النجف الأشرف، كما يوضحه قول ابن نوح عليه السلام ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾(هود: ٤٣).

---

١. ياقوت الحموي: معجم البلدان٢/ ٥٠٤، الشابشتي: الديارات ص ٣٠٩ن البغدادي: مراصد الاطلاع ٢/ ٥٥٧، ابن خلكان: وفيات الاعيان ٣/ ٤٤٤.
٢. جيمس بلنكهام: رحلتي الى العراق ١/ ٤٢.
٣. ابن رستة: الاعلاق النفيسة ص ١٠٨.
٤. المجلسي: المزار ص ٨٤.
٥. المصدر نفسه ص ٨١.
٦. الطبري: التاريخ ١/ ١٨٧ – ١٨٨.
٧. العياشي: التفسير ٢/ ١٤٦ – ١٤٩.
٨. أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ ١/ ١٧١.
٩. الحكيم: المفصل في تاريخ النجف الأشرف، ١/ ٢٤٩.

نـــافذة على التأريـخ
شهـــادة الإمـــام الهـــادي عليه السلام

في الثالـــث من رجـــب المرجب ســـنة ٢٥٤ للهجـــرة استشـــهد الإمـــام أبي الحســـن علي الهـــادي عليه السلام ولـــه يومئـــذ إحـــدى وأربعون ســـنة[١]، وليس عنده إلا ابنه أبـــو محمد الإمام الحسن العســـكري عليهما السلام.

أمُّـــه أم ولد يقال لها ســـمانة المغربيـــة ويقال إنَّ أمـــه المعروفة بالســـيدة أم الفضـــل، وقد أقام الإمام مع أبيه ســـنتين وخمســـة أشـــهر، وبعده مدة إمامته ثـــلاث وثلاثون ســـنة، ويقال: قد زادت بتسعة اشـــهر، ومدة مقامه بسر من رأى عشرين ســـنة، وقد استشـــهد فيها وضريحه في داره (سلام الله عليه).

وكان في ســـني إقامته بقية ملـــك المعتصم، ثم الواثـــق والمتوكل والمنتصر والمســـتعين والمعتز، وفي آخـــر ملك المعتمد استشـــهد مســـمومًا، وقال ابـــن بابويه: ســـمّه المعتمد[٢].

قـــال الكلينـــي: ومضى عليه السلام لأربـــع بقين من جمـــادي الآخـــرة وروي أنـــه قبـــض عليه السلام في رجب، وكان المتوكل اشـــخصه مـــع يحيى بن هرثمـــة بن أعين من المدينـــة الى سر من رأى[٣].

وكان الســـبب في اشخاصه إلى ســـامراء انَّ عبد الله بن محمـــد - وكان والي المدينة - ســـعى به إلى المتـــوكل، فكتـــب المتوكل كتابًـــا الى الإمام يدعـــوه فيه الى حضـــور العســـكر على جميل القول.

فلما وصـــل الكتاب إليه تجهّـــز للرحيل وخرج مع يحيى بـــن هرثمة حتى وصل إلى ســـامراء، فلما وصـــل إليها تقـــدم المتـــوكل أن يحجب عنـــه في منزله، فنـــزل في خان يعـــرف بخان الصعاليك فأقـــام فيه يومه، ثم تقـــدم المتوكل بإفراد دار له فانتقـــل اليها[٤].

واستشـــهد عليه السلام في سر من رأى، وغسّله وكفنه وأقـــام الصـــلاة عليه ابنـــه الإمام الحســـن العســـكري عليه السلام ودُفِـــن في المـــكان الذي هو قبره الشريـــف الآن[٥]

١- مصباح المتهجد: ١٦
٢- مناقب ابن شهر آشوب:٣/ ٥٠٥
٣- الكافي: ١/ ٤٩٨
٤- المفيد، الارشاد:٢/ ٣١٠
٥- النيشابوري، تقويم الشيعة: ١٧٧

كتب نفيسة ونادرة في مكتبة الروضة الحيدرية

عنوان الكتاب: عيون الرجال
المؤلف: السيد حسن الصدر
الناشر: عالم يريس دبوري آغامير لكهنؤ - باكستان
التأريخ: ١٣١٢ هـ. ق

تعد نسخة كتاب عيون الرجال من هذه الكتب النادرة كتاب هذه النسخ التي تعد من كتب الرجال النادرة التي لم تطبع طباعة حديثة، ولا يوجد منها إلا النسخ الحجرية النادرة.
ويوجد على النسخة تملك يعود إلى السيد علي الموسوي بتأريخ ١٣٤٧ هـ. ق.

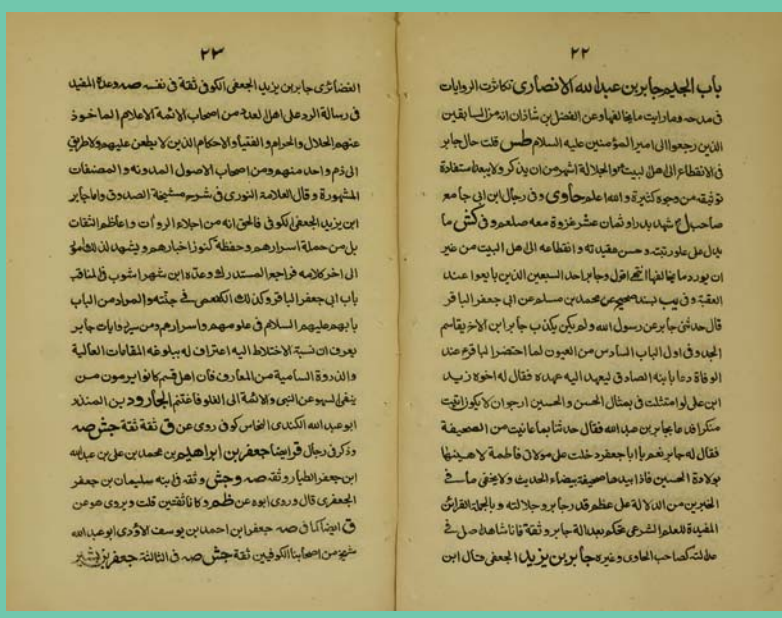

٢٢

باب الجليل جابر بن عبد الله الانصاري تكاثرت الروايات
في مدحه وعدالته ما لم تتفاوت عن الفضل بن شاذان انه من السابقين
الذين رجعوا الى امير المؤمنين عليه السلام طس قلت حال جابر
في الانقطاع الى اهل البيت عليهم السلام وجلالة اشهر من ان يذكر ولا يحتاج استفادة
توثيقه من وجوه كثيرة وانما علم حاوي وفي رجال ابن ابي جامع
صاحب ع شهد بدرا وثمان عشر غزوة معه صلعم وفي كش ما
يدل على علو رتبته وحسن عقيدته وانقطاعه الى اهل البيت من غير
ان يورد ما يخالفها انتهى اقول وجابر احد السبعين الذين بايعوا عند
العقبة وفي يب بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر الباقر
قال حدثني جابر عن رسول الله ولم يكن يكذب جابر ابن الاخ يقاسم
الجد وفي اول الباب السادس من العيون لما احتضر لما قرع عند
الوفاة دعا بابنه الصادق ليعهد اليه عهده فقال له اخوه زيد
ابن علي لو امتثلت في بمثال الحسن والحسين ارجوان لا يكون اثبت
منكرا فقال عاجابر بن عبد الله فقال حدثنا بما عانيت من الصحيفة
فقال له جابر نعم ربا ابا جعفر دخلت على مولاتي فاطمة لاهنئها
بولادة الحسين فاذا بيدها صحيفة بيضاء الحديث ولا يخفى ما في
الخبرين من الدلالة على عظم قدر جابر وجلالته وبالجملة الفرائض
المفيدة للعلم الشرعي حكم بعدالة جابر وثقة ناشاهد حال في
جلالته كصاحب الحاوي وغيره جابر بن يزيد الجعفي قال ابن

٢٣

الغضائري جابر بن يزيد الجعفي اكوفي ثقة في نفسه صه وعدة المفيد
في رسالة الرد على اهل العدد من اصحاب الائمة الاعلام الصالحون
عنهم الحلال والحرام والفتيا والاحكام الذين لا يطعن عليهم ولا طريق
الى ذم واحد منهم ومن اصحاب الاصول المدونة والمصنفات
المشهورة وقال العلامة النوري في شرح مشيخة الصدوق واما جابر
ابن يزيد الجعفي اكوفي فالحق انه من اجلاء الرواة واعاظم الثقات
بل من حملة اسرارهم وحفظة كنوز اخبارهم ويشهد لذلك مع
الى اخر كلامه فراجع المستدرك وعدة ابن شهر اشوب في المناقب
باب ابي جعفر الباقر وكذلك الكعبي في جنته والمواد من الباب
بابهم عليهم السلام في علومهم واسرارهم ومن يرى روايات جابر
يعرف ان نسبة الاختلاط اليه اعتراف له ببلوغه المقامات العالية
والدرجة السامية من المعارف فان اهل قمم كانوا يرمون من
يخيل لهم عن النبي والائمة الى الغلو فاغتم الجارود بن المنذر
ابو عبد الله الكندي الخاس كوفي روى عن ق ثقة ثقة جش صه
وذكر في رجال ق ايضا جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن جعفر الطيار وثقه صه وجش وثقه في ابنه سليمان بن جعفر
الجعفري قال وروى ابوه عن ظم وكانا ثقتين قلت ويروي عن
ق ايضا آدم ابن صهبان اكوفي ثقة جش صه في الثالثة جعفر بن بشير

مخطـــوط في الخزانـــة العلويـة

أسم المخطوط: شـــرح مقـصـورة ابـن دريـــد

المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان الهمداني البغدادي (ت ٣٧٠ هـ)

الناسخ: أبو الحســن السـلامي

تاريخ النسخ: ســنة (٣٥٠ هـ)

أهمية النسخة: نسـخة نفيسـة للغايـة، وتُعـد من أهـمّ المخطوطـات الألفية النـادرة كتبت بيد أبي الحسـن السـلامي أبرز شـعراء العـراق في القرن الرابـع، وعليها إجـازة المؤلف بخطّه لتلميـذه أبي الحسـن السـلامي، كما عليهـا قراءات وبلاغـات أخرى.

لاذوا بالجـــوار

■ الشيخ حسين الحلي
الزاهدُ العابدُ

الشيخ حسين الحلي
الزاهدُ العابدُ

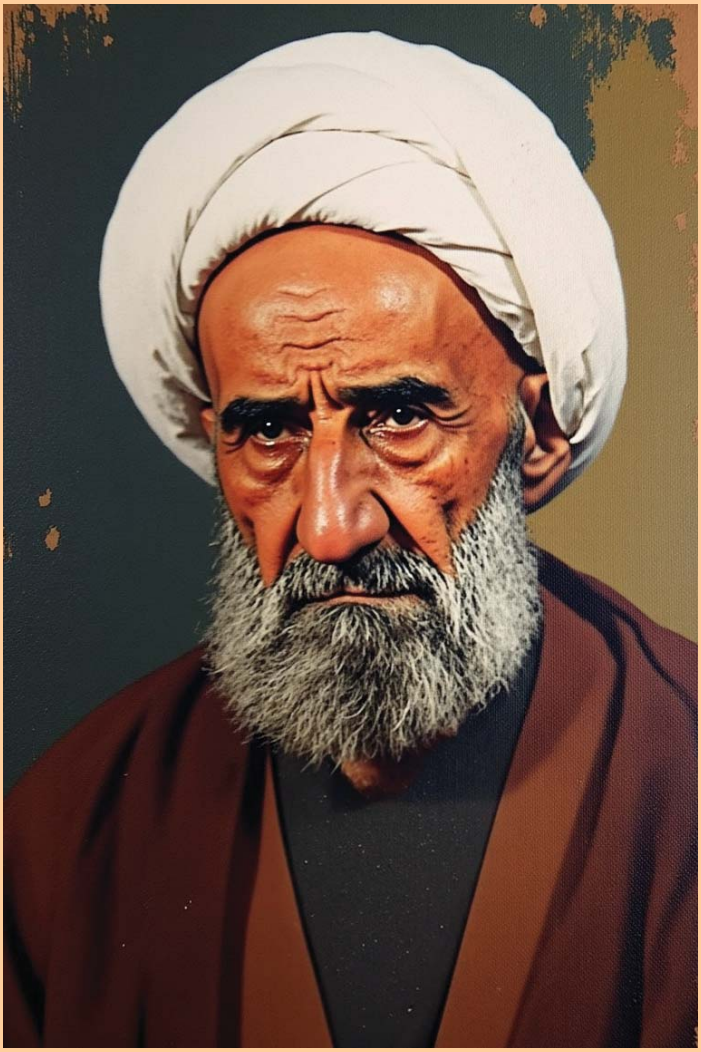

من فيوضات سيّد الوصيين الإمام أمير عليه السلام وبهائه استمد علماؤنا الأجلاء السبيل لبناء معارفهم فاجتهدوا، وبذلوا ما استطاعوا من غال ونفيس، فتعمَّقوا، وانطلقوا، وأبدعوا، وأشرقوا، للوصول إلى المبتغى، ولتظلَّ أنوارهم مضيئة من خلال آثارهم القيمة التي هي صحائف من العلم والمعرفة تستنير منها العباد إلى الآن، في أبواب العلوم المختلفة. وقد وُفِّقوا لتتشرّف أجسادهم، وترقد أرواحهم بجوار نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وممن لاذوا بجواره العالم الجليل والفقيه الأصولي والمحقِّق والمتكلِّم الشيخ حسين الحلي رحمه الله.

اسمه ونسبه وولادته:

الشيخ حسين بن علي بن حسين بن حمود بن حسين الحلي النجفي ينتمي إلى أسرة عربية أصيلة وهي عشيرة الطفيل التي تقطن الأرياف الجنوبية من قضاء الهندية ووالده من أهل الفضل والفقاهة، وُلِد الشيخ في سنة ١٣٠٩ هـ، بمدينة النجف الأشرف.

النشأة العلمية:

درس على يد والده مبادئ القراءة والكتابة، ثمَّ درس السطوح على أساتذة في الحوزة في علوم الفقه والأصول، لسنين طويلة حتى نبغ نبوغًا باهرًا، وتميّز بين أقرانه، بالغًا المراتب العليا.

انتقل الشيخ (رحمه الله تعالى) إلى بحث الخارج وذلك في النصف الأول من القرن الماضي، وقد حضر دروس العلماء الأفذاذ الميرزا النائيني والسيد أبو الحسن الاصفهاني والشيخ أغا ضياء الدين العراقي وأفاد منهم فقهًا وأصولًا.

أجازه الشيخ النائيني بالاجتهاد والرواية، كان الشيخ الحلي ملازمًا لأبحاثه الفقهية والأصولية ومجالسه العلمية، ووجد الميرزا النائيني من الشيخ الحلي مساعدا ومحررًا ومهذبا بارعا لفتاواه الكثيرة التي كانت ترد عليه، وحينما سئل الميرزا النائيني عن سر امتنانه البالغ واهتمامه الكبير بالشيخ حسين الحلي أجابهم: أنه من يحفر البئر بابرة، وحضر أبحاث المحقق الشيخ ضياء الدين العراقي دورة ونصف في الأصول، وحضر الأبحاث الفقهية والأصولية للسيد أبو الحسن الاصفهاني وكتب تقريراته الاصولية وكتب الاستفتاءات التي ترد إليه مع أجوبتها بمئات الصفحات.

مكانته العلمية:

كان من كبار فقهاء الإمامية المحققين المعاصرين ومن ذوي النظريات العالية والآراء الفقهية ومن مشاهير المدرسين، تخرج عليه العشرات من المجتهدين والعلماء، له اطّلاع واسع بالعلوم الدينية فقيهًا متبحّرًا له إحاطة واسعة بالفروع الفقهية وأصولي محقق ومن المتضلعين في التأريخ واللغة والأدب وعنه قال الشيخ جعفر محبوبة: ((كان من رجال العلم البارزين ومن أهل الفضل السابقين مرغوب في التدريس التفّ حوله ثلّة من طلاب العلم الساهرين على تحصيل ما يستفيدون من علمه ويستقون من معين فضله))

من تلامذته:

بعد أن استكمل الشيخ الحلي أدواته المعرفية وبرع في مختلف علوم الشريعة وخصوصًا في الفقه والأصول واستفاد لدأبه وجهده المتواصل في تتبع ومجالسة أساتذته من أساطين العلماء الأعلام والعناية التي تلقّاها منهم وحضوره المباحث الفقهية والاصولية لثلاثة من أساطين الفقه والأصول في النصف الاول من القرن الثالث الهجري وهم: الميرزا محمد حسين النائيني، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ آغا ضياء الدين العراقي، فاصبح من أكابر المدرسين في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومن تلامذته: السيد

علي الحسيني السيستاني، والسيد محمد سعيد الحكيم، والسيد محمد تقي الحكيم، والسيد علاء الدين بحر العلوم والسيد عز الدين بحر العلوم.

أقوال العلماء فيه:

أغا بزرك الطهراني في كتابه نقباء البشريقول فيه : ((عُرِف بالتحقيق والتبحّر والتقى والعفّة وشرف النفس وحسن الأخلاق وكثرة التواضع كما أنّه من الذين يخدمون العلم للعلم).

السيد محمد كلانتر: ((شيخنا العلّامة الكبير جهبذة العلم وأستاذ الفقاهة والأصول آية الله الشيخ حسين الحلي... تحرّر من زبارخ هذه الحياة وزخارفها فكانت الحقيقة ضالته فوجدها وألفها وأعرض عن غيرها))

الأميني في كتابه رجال العلم والفكر في النجف: ((كان من كبار فقهاء الإمامية المحققين المعاصرين ومن ذوي النظريات العالية والآراء القيّمة ومن مشاهير المدرسين فقد تخرج عليه العشرات من المجتهدين والعلماء النابهين ابتعد عن المرجعية ما وسعه وهو أهل لذلك))

محمد سعيد الحكيم: ((إنسان واقعي وهو مجد في عمله معتبر بالأحداث ولديه رؤية نتيجة تجارب يستفاد منها من ناحية إخلاصه لديه لفتات في إظهار الحقيقة كل أحد كان ينتفع منه)).

آثاره القيِّمة:

نذكر منها:

(الاجتهاد والتقليد) (مباحث فقهية) (شرع الشرائع) (كشكول) (مباحث فقهية وأصولية) (حاشية على الفوائد الأصولية وهي تقريرات الميرزا النائيني) (تقريرات خارج الأصول من بحث المحقق ضياء الدين العراقي) (تقريرات لأبحاث أصولية لأستاذه السيد ابي الحسن الاصفهاني لكفاية الاصول).

وفاته:

توفّي الشيخ حسين الحلي (رحمه الله تعالى) في الرابع من شهر شوال من سنة ألف وثلاثمائة وأربع وتسعون للهجرة بمدينة النجف الاشرف، وقد صلى عليه السيد أبو القاسم الخوئي ودفن بمقبرة أستاذه الشيخ النائيني في الصحن الحيدري الشريف بحجرة رقم (٢١)، وقد أرّخ وفاته المرحوم السيد محمد الحلي قال:

فجع الغري وأصبحتْ ... تبكي القداسةُ والعلوم
لما قضى شيخُ الفضائل ... مَن به العليا تريم
إن (الحسينَ) لآيةٌ ... فيها الشريعةُ تستقيم
الحلةُ الفيحاء صارت ... فيه تحسدها النجوم
وبه الغري سما مقامًا ... حين راح به يقيم
سادَ الظلامُ بفقده ... فوفاتُه خطبٌ جسيم
فُجِعَ الوصيُ فأرَّخوا ... (رزءُ الحسينِ بهِ عظيم)

١- رياض احمد محمد تركي، الشيخ حسين الحلي وآراؤه الفقهية في مستحدثات المسائل.

٢- أحمد امين نجف، علماء في رضوان الله.

التربيةُ الصالحة تَصنعُ العلماءَ

كان والد الشيخ محمد تقي المجلسي بيَّاع حنطة، أراد أن يسافر لمدة قد تطول... فجاء بولديه (محمد تقي ومحمد صادق) إلى العالم الكبير الشيخ عبد الله التستري، وطلب منه أن يدرِّسَهما العلوم الإسلامية وأوصاه بولده محمد تقي، فهو أكثر ذكاء ورغبة في طلب العلم، مرّت الأيام حتى دخل يوم العيد، فأعطى الأستاذ لتلميذه محمد تقي ثلاث توامين (عيدية)، وقال له: اصرف هذه في حاجاتك الضرورية، امتنع الصبي من أخذ هذا المبلغ، وقال: إنني لا آخذ شيئًا من دون إذن والدتي، عليَ أن أستأذنها أولًا. عاد إلى البيت وأخبرها بالموضوع، فقالت له أمه: يا ولدي، لقد ترك أبوكما حنطة في الدكان، وقد قسَّمتها لسد حاجاتكما، وإذا أخذت العيدية من الشيخ فسوف تتعود على طلب المال من الآخرين، أو تتوقع منهم أن يعطوك دائمًا وهذا الأمر لا يليق بنا. وفي اليوم الثاني دخل محمد تقي على أستاذه، وأخبره بما قالته أمُّه، فرفع الشيخ يديه بالدعاء لهذا الصبي، أن يوفِّقه الله للعلم النافع والعمل الصالح وطول العمر. ولقد استجاب الله تعالى هذا الدعاء، فأصبح هذا الصبي فيما بعد أحد كبار علماء الإسلام، وهو العلّامة محمد تقي المجلسي كما أصبح ولده أيضًا عظيم الشأن رفيع المنزلة، وهو العلّامة الكبير الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره صاحب الموسوعة الإسلامية الشهيرة (بحارُ الأنوار) التي طُبعت حديثًا في أكثر من مائة وعشرة مجلدات، وله مؤلفات أخرى خدم بها المكتبة الإسلامية، ذلك نتاج التربية الصالحة.

(عبد العظيم المهتدي البحراني، قصص وخواطر: ٦٣٠)

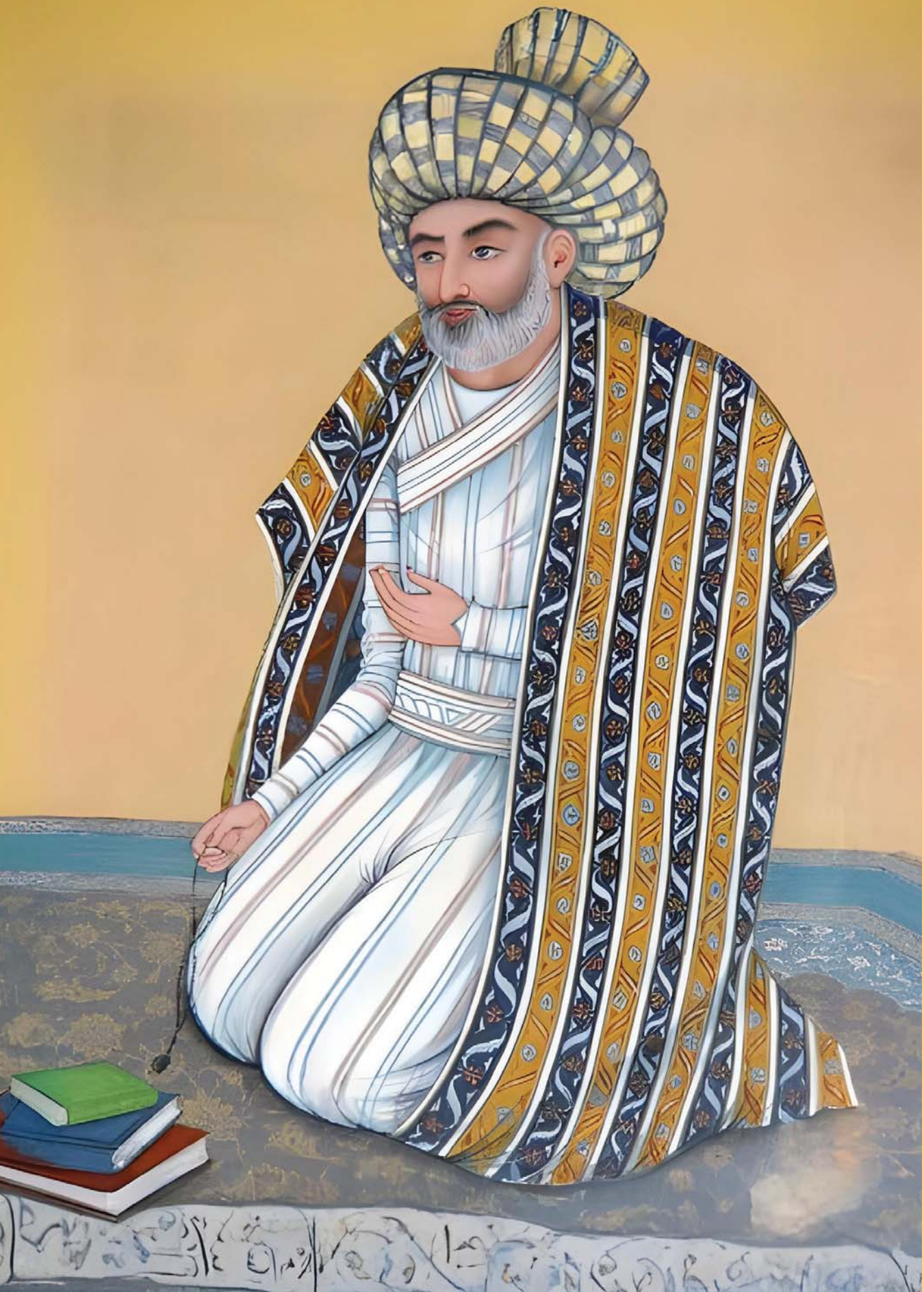

مسابقة العدد 186

مسابقة خاصة بهذا العدد يمكنكم الاشتراك فيها إلكترونياً
عبر مسح الباركود.

علمًا إن أجوبة الأسئلة تجدوها في مقالات هذا العدد

آخر موعد للمشاركة يـوم 15 شعبان

هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلـن أسمـاء الفائزيـن في
المسابقة عبر قناة مجلـــة
الولايـــــة في التلكـــرام